جامعة
مؤتة
١٤٠١ ١٩٨١
كلية الآداب
قسم اللغة العربية
بحث بعنوان:
الواقعية في الأدب العربي
إعـــــداد الطالبين:
طالب عبد المهدي الفرايه
سعود امجد الذنيبات
مادة : دراسات في النثر الحديث
مقدم للدكتورة: ريم المرايات
للعام الدراسي

الواقعيّة في الأدب العربي

دوّامة الأوغاد

للأديب محمد فتحي المقداد

أنموذجًا..

الواقعيّة في الأدب العربي

دوّامة الأوغاد

للأديب محمد فتحي المقداد

أنموذجًا..

المقدّمـــــــة

الواقعيّة مذهب أدبي انتشر في النّصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وتدعو الواقعية إلى الإبداع الأدبي بتصوير الأشياء الخارجة عن نطاق الذات .والثورة على شرور الحياة والكاتب الواقعي يأخذ مادة تجاربه من مشكلات العصر الاجتماعية وشخصياته من الطبقة الوسطى أو طبقة العمال. وغاية الواقعين أن يصبح الإنسان سيد الطبيعة في مجتمع عادل ومن ثم كان الأديب الواقعي أكثر أمانة في تصوير بيئته. وقد ساعدت مجموعة من العوامل في ظهور الواقعية ومنها:

مُغالاة الرومانسيّة في نظرتها للفرد والمجتمع، ومذهب الفنّ للفن وإهماله قضايا المجتمع نهائيا، والتأثيريّة في هروبها من الواقع، كذلك التقدّم العلمي الذي قام بناء على المنهج التجريبي في العلوم، كذلك تفشّي النظرة النفعية في المجتمع الرأسمالي والجري وراء المال و المصلحة الفرديّة، مما دعا نفرًا من الأدباء إلى الاتّجاه نحو الواقع، مما أدّى إلى شُيوع النظرة الموضوعية للحياة والمجتمع وهو ما يعرف بالواقعية، وقد تميّز بمجموعة من السّمات، أهمّها:

الاهتمام بفئات وطبقات النّاس جميعها. والموضوعية في تناول المجتمع. حيث انطلقت من المجتمع و الناس بمختلف فئاتهم وطبقاتهم، وجاء اهتمامها بالإنسان ف إطار تفاعله وتعامله مع المجتمع الذي يتأثر به ويؤثر به، وهذا ما يجعل الواقعية مختلفةً عن غيرها من الاتجاهات الأخرى، كالرومانسيّة والكلاسيكيّة. وقد اتّسم الأدب الواقعي بالموضوعية، فالواقعيّون يتّجهون إلى وصف المجتمع دون أن يُظهروا تعاطفهم مع جهة معيّنة.

من هنا نالت الرواية النصيب الأوفر من أدب الواقعيين، لما تمتاز به من سعة زمانية ومكانية وشخصيات غير محدودة تُظهر بتداخلاتها تغيّرات المجتمع بدرجة من الموضوعية تفوق ما يمكن أن يتجلّى في الأجناس الأدبية الأخرى كالشعر و المسرح(١)

ويعد محمود تيمور الواقعي الأول في الأدب العربي وقد ظهر متأثرا جدا بالأدب الفرنسي، حيث كانت أعماله القصصية لوحات لأوضاع اجتماعية غلب عليها شيء من التخيل خاصة في مقدمة كتابه الشيخ جمعة.

أما الواقعية الحقيقية في الأدب العربي الحديث فقد تجلت عند الدكتور"طه حسين" في كتابه (المعذبون في الأرض) وقد عبر عن رفضه لمظاهر الحرمان والفقر مطالبا بالعدالة الاجتماعية والحقوق الإنسانية للفرد. وخير ما أثمرته الواقعية في الأدب المصري ما كتبه "توفيق الحكيم" في روايته (يوميات نائب في الأرياف) حيث قدم وصفا دقيقا لحياة الفلاحين في الريف المصري مستعرضا مظاهر الجهل والحرمان والذل بين أجيال من الإقطاعيين وقد ترجمت هذه الرواية إلى أغلب لغات العالم وبذلك

بلغ مرتبة سامية في سلم الأدب العالمي . كما ظهرت الواقعية في أعمال "يوسف إدريس" في روايته (الحرام).

وكذلك الأديب "يحي حقي" في مجموعته القصصية (ماء وطين).كما نلمح الواقعية الإشتراكية في رواية (الأرض) لعبد الرحمن الشرقاوي، وقد دارت أحداثها في عقد الثلاثينيات في إحدى القرى المصرية مظهرة حاجة أهل القرية إلى الإصلاح الزراعي من خلال توزيع الأراضي الزراعية على الفلاحين، ومواجهتهم للفساد وتقلبات الطبيعة .

ثم نجيب محفوظ الذي مهد الطريق للواقعية العربية بأعماله التي ضمت «القاهرة الجديدة» سنة ١٩٤٥، و«خان الخليلي» سنة ١٩٤٦، و«زقاق المدق» سنة ١٩٤٧، و«السراب» سنة ١٩٤٨، و«بداية ونهاية» سنة ١٩٤٩، وبعد ذلك الثلاثية: «بين القصرين» و«قصر الشوق» و«السكرية»، وتظهر الواقعية في هذه الأعمال من خلال الحرص على أسماء الأماكن الفعلية التي غدت علامة أولية على الالتزام الواقعي، كما تظهر في الانحياز إلى مشكلات الشرائح الفقيرة من الطبقة الوسطى التي كانت بمنزلة العمود الأساسي للمجتمع المصري، وقد انتهى نجيب محفوظ من كتابة الجزء الأخير من الثلاثية قبيل قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢، وعندما قامت الثورة توقف عن الكتابة فترة امتدت سبع سنوات ليعيد التأمل في مساره الإبداعي ومنهجه في الكتابة، لكن ظلت أعماله الواقعية هي النموذج الذي تتطلع إليه الأجيال على امتداد الوطن العربي.

---

(١)الماغوط، محمد، كتاب سأخون وطني، ط٧،٢٠١٢م، دقق: دار المدى للثقافة والنشر.

عبيدات، محمد نائل، تغريبة قرية، ٢٠١٠م، عمان: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.

جدل المبنى و المعنى في العمل الروائي\ دراسة تطبيقية – دكتور حكمت النوايسة طبعة ١ – ٢٠١٣ وزراة الثقافة

رواية دوامة الأوغاد نموذجًا:

وقد تناولت في بحثي هذا كمثال للواقعية في الأدب العربي الحديث (رواية دوّامة الأوغاد) للأديب محمّد فتحي المقداد الكاتب السوري والصادرة عن دار عمار للنشر والتوزيع عمان الأردن الطبعة الأولى .

وذلك بعد أن أثار اهتمامي لدراستها كوني ممن ساعد في تدقيقها اللغوي ولكثرة الدراسات النقدية التي تناولتها فقد أشبعها النقّاد دراسة وتحليلًا. وقال عنها الأديب الأردني الحاصل على جائزة كتارا ٢٠٠٦ في الرواية العربية جلال برجس (الدوامة أفضل ما صدر في سوق الرواية الأردنية في السنتين الماضيتين). وسنستعرض جميع الدراسات النقدية عنها بالتفصيل .

والرواية كتبت قبل الثورة السورية وتسرد أحداثا لما قبل الثورة والتي كان من شأنها أن تشعل تلك الثورة، فقد عالجت بواقعية مطلقة قضايا الصراع الاجتماعي وتداخلاته وتشعباته، ونقلت الواقع بعدسة بصير متمرّس في فن الرواية وسرد الأحداث بواقعيّة وموضوعية.

وقد بدت النظرة الواقعية في الدّوامة واضحة جلية في مسيرة الرواية ما ألفها إلى يائها كما في قوله ص٥:

(خفتَت حركة النّاس في ساحة الحارة، وهي تُرسل جَلَبَةً، و ضوضاء الأولاد، وصراخهم لا يتوقّف، خاصّة، وهم يلعبون (الطُّميمة) المفضّلة عندهم، يصمِتُون فقط عندما يذهبون للاختباء في الزوايا، وراء الجُدران القريبة من مكان الولد الذي يغطّي وجهه بأكمله كي لا يَرَاهم، وهو ملتصق بحجر مُعيّن، معلوم لدى أعضاء اللّعبة، هذا الولد يعلن للجميع انتهاء الوقت بتنازل العدِّ من عشرة إلى واحد، وعليه البحث عنهم، و الإمساك بمن استطاع منهم، والمحظوظ بالفوز، من يصل إلى الحجر المعروف، ويلمسه بيده، بذلك ينجو من أن يكون دور (الطُّميمَة) عليه) (١)

حيث ظهر اهتمام الكاتب بكل تفاصيل المكان والمجتمع والإنسان بكل تجلياته وصراعه مع البيئة والآخرين وتأثر الشخوص بالمكان حيث نشعر بضجيج المكان بهم وضجيجهم بالمكان بكل تأثر وتأثير فالأطفال يملؤون المكان ضجيجا والمكان يحتوي الاطفال بكل حب وحنان ويضج معهم حبا وحياة . وفي موقع آخر ص١٥ يقول الكاتب:

وجه غير مألوف أبدًا لأهل الحارة، تتبعته عيون العفاريت الثلاثة عند مروره من أمامهم، مُتَأبّطًا مُفَكّرته، يبدو عليه أنّه موظف، ولكن مَنْ صديقه هنا، حتى يأتيه؟، سَاوَرَتْهم الشّكوك، حبّ الاستطلاع، حَدَا بهم لمراقبته، إلى أن دَقّ باب دار النّمس، فورًا فُتِحَ له الباب، وكأنّ النّمس كان على موعد معه، أو أنّه كان ينتظره خلف الباب بفارغ الصبر، وعلى أحرّ من الجمر. - ماجد يلتفتُ لمساعديه، قائلًا: *سجّل عندك يا تاريخ*.

بهذه المقطع القصير من رواية دوامة الأوغاد نلاحظ الواقع بكل تجلياته وبكل حذافيره ودقائق أموره من مكان وشخوص وأحداث وصراع يرسم معالم قرية أم الخنافس في بلاد الشام كما ويظهر استعانة الكاتب بالأمثال الشعبية والعبارات الشعبية: ومن الأمثال الشعبية في الرواية المثل: (**ابعد عن الشّر وغني له**)،(***القشّة التي قصمت ظهر البعير***)، (***الكذب ملح الرّجال، وعيب على إللي بيصْدُقْ***)،(***جبل لجبل لا يلتقيان، وبني آدم، لبني آدم يلتقيان***)،.. (***يا مَا تحت السّوَاهي دَوَاهِي***)

بهذا نستطيع القول إن دوّامة الأوغاد سلّطت الأضواء على مجتمع قرية (أم الخنافس) في السبعينيّات من القرن الماضي، الغافية في مجاهل الريف السوريّ، وهي نموذج لقرى الرّيف بِكلّ معطياتها ومخرجاتها المُتماثلة، فيما بين الشمال و الجنوب، و الشرق و الغرب من سوريا .

<u>الصراع والحدث في الرواية</u>:

وصراعُ الرواية واضح ماثل بين الفضيلة و الرذيلة، بين الخير و الشرّ، صراع مَشُوبٌ بأمل الحياة الكريمة، وانتزاع لقمة العيش من فم الطبيعة القاسية بالقوّة، بالمقابل هناك من يسرقون آمالَ وأحلامَ البُسطاءِ، باستخدام كافّة الوسائل القذرة المُتاحة وغير المتاحة للوصول إلى غايتهم، بأسلوب ميكافيلليٍّ مُتقن بمهارات وغير مُعلن.

الأجهزة البوليسيّة اشتغلت بوسائلها على تفتيت الحياة الاجتماعيّة، وجعل القبائل و العشائر عدُوًّا مُعلنًا وهدفًا يجب القضاء عليه، ولم يعملوا على نقل المجتمع إلى الأفضل بنشر الرّفاه الاجتماعيّ، المرتبط برفع السويّة الاقتصاديّة لفئات المجتمع، بل عملوا على نهب مقدّرات القطر، وتفتّقت عبقريّتهم عن أساليب مبتكرة في الإثراء غير المشروع على حساب الأكثريّة الصّامتة المسحوقة المغلوبة، عندما زرعوا الخوف، وصار البطش و القتل و السحل و السجن نهجًا معروفًا ومعلومًا للقاصي و الدّاني.

اختفاء الطبقة الوسطى من المجتمع السوري، لحساب الطبقة المُتحكّمة السائدة فوق القانون، بل هي القانون بذاته، فصّلته على مقاسها بما يضمن لها السيطرة الكاملة على كلّ شيء، وأعطت وظائف الدولة و البعثات الدراسيّة و المنح إلى المُوالين، واستُبعِدت

الكفاءات التي كان من الممكن الاستفادة التنمويّة منها، بما يكون فيه الخير والحياة الكريمة لكافة أفراد الشعب، بدل الاقتصار على فئة قليلة.

***

فالواقعية في رواية دوامة الأوغاد، جاءت بأسلوب أدبي وفنّي لدراسة المجتمع بتوزيعه الطبيعي إحصائيًّا للتعرف على التغيّر الاجتماعي الطارئ على المجتمع في مرحلة ما.

وإذ تمثّل دوّامة الأوغاد مرحلة من الصراع في سورية الشقيقة، فإن التجاذبات والتقاطعات و الرأي و الرأي الآخر قد أثّرت على بنية المجتمع السوري، بفقدان الأمن أوّلًا، والتهجير الطوعي و القسري ثانيًا.

هذا مما أدّى إلى خلل جليّ في بنية المجتمع السوري التي دخلت في تركيبتها عناصر نمن خارج المجتمع السوري، مما شكّل التواءً إحصائيًّا كما يقول علماء الإحصاء، الذي استفاد منه الروائيون والشعراء، والكتّاب وعلماء الاجتماع بدراسة الكسر في البنية المجتمعية، والالتواء الثالث في هذه البنية، لذا جاءت رواية دوامة الأوغاد، التي كتبت بقلم روائي سوري عاش التجربة وعاش التغيّرات، ولم يغفل عن هذا الخلل المجتمعي، فأراد أن يعالجه ببناء مجتمع موازٍ للمجتمع الحقيقي، وهذه الصورة التي يقدمّها الروائيّ هي صورة افتراضية لمجتمع استطاع الروائي محمد فتحي المقداد أن يشير إلى التغيرات في بناء الشخصية أوّلاً ومن هذه النماذج:

● شخصية **"النّمس"** محورية في كافة محاور الرواية المرتكزة على تفتيت المجتمع من خلال ما قامت به الأجهزة الأمنية منذ إطلاق الأحكام العرفيّة وقانون الطوارئ.

وكما أشار الأديب القاص **(خليل النابلسي)** في دراسته عن الرواية: **"الشخصيات في العمل الروائي تعتبرُ من أهمِّ عناصر البناء الرّوائي، إذ أن الشخصيات هي المحرك الأساسي للحدث الرِّوائي، ونموِّ وتصاعد وتشابك خيوط العقدة والوصول الى الحل، وعن طريقها يتم طرح الرؤى والقضايا التي اهتم بها الكاتب"**.

وفي تحليله أيضًا لشخصية النمس، يقول: **"أن شخصية النمس شخصية مركبة معقدة، ولكن الكاتب سبر غورها وفرز أحاديات التركيب العقلي والنفسي لهذه الشخصية التي لعبت دوراً هاماً في سير أحداث العمل الروائي. وقد رصد الكاتب تحرّكات هذه الشخصية بآلة تصوير دقيقة، وباختصار شديد كان النمس يمثل الخادم الأمين للسلطة فهو صاحب الدسائس، ونقل الأخبار، والتقارير، وبثّ الإشاعات الكاذبة، ومراقبة الصغير والكبير، حتى بات الجميع في رعب من لسانه وقلمه الذي**

يقطر سُمّاً زُعافاً. وقد جعل الكاتب هذه الشخصية تحت عين آلةِ التصوير دائماً، ليس لأنه يستحق ذلك، ولكنه كان المحرك والباعث على تصاعد الأحداث وتشابكها".

● وجاءت شخصيات الأطفال الثلاثة (ماجد - محمود - أنيس) مؤشّرًا على الضمير اليقظ الذي لم يلوّث بما يحدث حولهم دون علمهم، وببراءتهم كانوا مرصادًا لكشف أكاذيب النّمس، ومن مواقعهم انطلقوا ليكونوا شاهدًا على مجتمع تتدمّر فيه القيم الإنسانية شيئًا فشيئًا و الكبار من أهاليهم لا يعرفون ما يدو حولهم من مكائد ومؤامرات.

---

(١) سعيد، إدوارد، المثقف والسلطة، ترجمة وتقديم محمد عناني،٢٠٠٦م، رؤية للنشر التوزيع.

وعلى رأي القاص و الروائي (**توفيق أحمد جاد**)، كما ورد في دراسته النقدية: **"كان الإعلام المحلّي حاضرًا في روايته، من خلال ماجد وصديقَيه أنيس و محمود، الذين كانوا يصرّون على الوصول إلى الحدث بكلّ تفاصيله، وفضح الحقائق، إلّا أنّهم لمْ يلجؤوا إلى السلطة الفاسدة، لإصلاح الأمور، ولكنّهم كانوا يتركون ردّة الفعل إلى النّاس، والتّصرُّف كما يريدون، فكانت مقولتهم التي اشتهروا بها، لتأكيد الحَدَث، وعلى لسان ماجد (سجّل عندك يا تاريخ)، ليرد عليه صاحباه (سجّلنا وحفظنا)"**.

● النساء نصف المجتمع الفاعل بكامل طاقته في المجتمع الريفي فهنّ جنبًا إلى جنب مع زوجها و أخيها في العمل في مواسم الحراثة والبذار الحصاد والبيادر.

وقد تنبّهت الدكتورة (**ريمة الخاني**) لشخصية أم شحدة: **"أم شحدة وبناتها الخمس ورغبتها بإنجاب ولد ذكر، مشكلة مجتمع كامل، يمجد الذكورة الطاغية فيه فكرًا وسلوكًا.**

ليدخل النص في مجتمع موغل في الخرافات والشعوذة بميلاد شحدة أو المشورب، الذي يصبح شيخا فيما بعد، هذه الصورة المكرورة في رواياتنا".

استطاع الروائي المقداد نقل هذه المأساة الاجتماعية المتفشية على نطاق واسع في المجتمعات العربية و الشرقية على وجهه الخصوص، وتسليط الضوء عليها وكأنها أخطبوط أمسك برقبة المجتمع لإذلاله وتجيير منجزاته لصالح المشعوذين الذي يملؤون جيوبهم من التلاعب بمصائر الناس، وخلق مشاكل جديدة لهم، وكل أفعالهم قائمة على الجهل و التجهيل.

وقد أفصح الروائي (**محمد الحفري**) في دراسته عن المشاركة النسائية، بقوله: **"شخصيات الرواية من حيث الطيبة والبساطة قد تتقابل وتتقارب مع الشخصيات النسائية الموجودة في الحارة «أم سعيد، أم منيف، فليحة، صالحة» وقد اعتمد الكاتب على لسان هذه الشخصيات وحوارها في نقل الكثير من الأخبار والأحداث وفي أحيان أخرى كان يستخدم صابر عامل البريد وزوجته نعمات لهذه الغاية"**.

فهذا التجمّع النسائي المصغّر، يقول برأيه متفاعلًا مع محيطه في القرية، "فأمّ سعيد، أمّ منيف، وفليحة، وصالحة" يجتمعن باستمرار إما في ساحة الحارة أو عند إحداهن خاصة " فاطمة زوجة الأستاذ فهيم، ونعمات زوجة صابر عامل المقسم"، ولا يُخفين انتقادهن الشديد للنّمس وابنه، وللمنحوس عبدالودود، الذي تماثل في نهج ظلم الزوجة مع النمس، وبقيت بذرة الخير قائمة في نفوس أهل الحارة، خاصة أم محمود زوجة

سعيفان التاجر، وهي ترسل الطعام كلّ يوم للنمس مع ابنها، رغم السوء الذي تعلمه عنه، ولكنّها حافظت على حُرمة وحقوق الجوار.

و "أم شحدة وهي تلتقي بابنة خالتها أمّ فرج زوجة النمس"، وهنّ يرجون أن يصعدن إلى سطح الحياة، ويكنّ شيئا في مجتمع نساء القرية، ولكن وضع أم شحدة أفضل بدرجات كبير من وضع أم فرج، لما تلاقي من أشكال ظلم زوجها النمس.

رجال القرية: سليطين وارحيم وسويلم وحميدان وسعيفان المثقفون من الرجال : الاستاذ فهيم ،والاستاذ عطاالله، وفارس والمشورب وأبو غليون.

ملاحظة -

"إحصائيّا: هو منحنى التوزيع الطبيعي للمجتمع الذي حددّه علماء الإحصاء، حيث يشكل المتوسّط ١.٦٤ و ٣٦ بالمئة موزعة على الجانبين، ويسمى منحنى التوزيع الطبيعي، منحى الناقوس، حيث تحذف منه القيمة المتطرّفة؛ لهذا على النقد الأدبي أن يستفيد من النظريات البسيطة في إعادة قراة الرواية والمجتمع على أسس إحصائية علمية، قد لا تكون يقينية، وقد يصعب تطبيقها في بعض الأحيان، لكنّها الأقدر على تقريب صورة المجتمع إلى ذهن المتلقي.

ومن هذه الالتواءات في المجتمع الموازي الذي قدّمته رواية دوامة الأوغاد شخصية (المشورب)، هذه الشخصية التي فقدت قيمتها الإحصائية لأنها لم تكن صاحبة موقف ومبدأ، أو لم تستطع الحفاظ على مبادئها، فسقطت إحصائيا لسقوطها الاجتماعي والأخلاقي في الفضاء الروائي.

ويعرف الدكتور عبدالرحيم مراشدة، الفضاء الروائي: بأنها حركة الشخوص في الزمان والمكان. الزمن صامت حتى يطرأ عليه من حوادث تعطي لهذا الزمن قيمته.

فقيمة الزمن في حركة الأشخاص، وتمثيلهم الإحصائي للمشاهد الروائية و اللوحات الفنية التي ابتكرها محمد فتحي المقداد مشكّلا روايته بالسّرد و الوصف والمشهدية العالية، هذه المشهدية لا تتأتى إلا بخبرة الروائي وعينه البصيرة الذي يمثّل دور المُخرج على الورق، بتوزيع الأدوار وتشكيل الشخصيات؛ حتى تتحرك في فضائه الروائي مُشكّلة عالمًا موازيًا للعالم الحقيقي الذي كتبت عنه رواية دوّامة الأوغاد.

وهنا يمكن لنا السؤال: هل تصلح الواقعية بنقل التفاصيل كما هي، أو بتجميلها وتجميدها الروائي؟.

فمن المفترض أن تكون الواقعية صورة منقولة عن العالم الواقعي، الذي كتب عنه الروائي، لكن الفكر المسبق للروائي، لا بدّ له أن يتدخّل في بنية المجتمع و استخراج الواقعية التي يتخيّلها الروائي.

وتبقى الواقعية قضية إشكالية في دوّامة الأوغاد وغيرها في الأدب العربي والغربي، لهذا يبقى إشكالية السؤال قائمة، ما دام القلم يخطّ تفاصيل مجتمع ما في كينونة روائية.

وعند حساب الفرق بين التوزيع الطبيعي للمجتمع والالتواء يستطيع الناقد أن يحدد طبيعة الظاهرة التي أثّرت في التغير الاجتماعي.

ومع هذا تبقى المناهج الأدبية ومدارسها النقديّة، هي الأساس في دراسة الأدب حتى لو استعنّا ببعض المفاهيم الإحصائية أو العلمية، فاللغة هي أساس التشكيل الروائي في تصوير الشخصيات و تحديد معالمها ورسم الجغرافيا وتتبع حركة الشّخوص، لكنّ السؤال: هل يُشكّل الالتواء الإحصائي التواء لغويًّا؟.

فإن حصل هذا فهو سقوط للأدب و المجتمع وعلى الروائي أن يُقيم لغته على الميزان اللغويّ للتأشير والتصحيح و التقويم للتغير الاجتماعيّ، فالنسق اللغوي لا يسقط بالتغيّر الاجتماعيّ، مما يعيدنا إلى الدكتور **عبدالله الغذامي** في كتابه النقدي (**النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية**)، مما يجعلنا أن نعيد النظر في الأنساق الثقافية في رواية الأوغاد التي سقطت أمام جبروت السلطة.

وهذا ما ذكره الناقد عبدالرحيم جداية في دراسته "المجتمعات المصغرة" في رواية دوامة الأوغاد، للتعرف على التحوّلات في الأنساق الثقافية والاجتماعية و الفلسفية.

حينما توقّف أما إشكالية المثقف و السلطة، بقوله: **"**يقول محمد عناني في مقدمة كتاب المثقف والسلطة لإدوارد سعيد: **"أيّ الصور التي ترسم للمثقف، أو التي يرسمها لنفسه"**، هذا عندما يتحدث عن التمثيل تصويرا للمثقف، أما من حيث المعنى فيقول إدوارد سعيد: **"ما يمثله المثقف بمعنى بما يرمز له، أو من يمثله المثقف بمعنى من ينوب عنهم أو يتكلم باسمهم"**، ليأتي دور المثقف احتجاجا في التعبير على أقل تقدير، وقد حاول محمد عناني استخلاص معاني التمثيل والنيابة، ودور المثقف مفاهيميًا من خلال ما قدمه إدوارد سعيد من إشكاليات مفاهيمية في كتاب المثقف والسلطة.

وقد تجمد دور المثقف في شخصيتين رئيسيتين، هما الأستاذ فهيم الذي يستشرف المستقبل، والذي فكر مليا بأسباب قدوم أبو غليون ذراع السلطة في قرية أم الخنافس، أما الأستاذ فارس فقد كان صاحب قناعة تامة بما أدعاه أبو غليون ذراع السلطة بأنه

شاعر جاء ليكتب شعرا يستوحيه من جو قرية أم الخنافس، وبدل الشعر كان يكتب أبو غليون التقارير لأسياده، مبلغا عن حركة المثقفين في المجتمع المصغر.

كما تمثلت الثقافة في دوامة الأوغاد في الآلة الإعلامية، التي تبث تقاريرها مباشرة، وكأنها محطات تلفزة عالمية بأخبار عاجلة من أم ماجد ونساء الحارة إلى أبي ماجد، بما يستجد من أحداث، والدور الثالث للمثقف فكان لسليطين الذي عقد مؤتمرا للقمة جمع فيه وجهاء الحارة ورموزها، حيث تجمد دور الأستاذ فهيم بكتابة استرحام لعطوفة المحافظ، وشكوى مبطنة على تحرشات رامز والمخفر، وطلب الاسترحام للمعتقلين، **فهل يليق هذا الدور بالمثقف فهيم في المجتمع المصغر لدوامة الأوغاد؟".**

---

*عبدالله الغذامي في كتابه النقدي (النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية).

دراسات نقدية عن رواية دوامة الأوغاد -

ومن أشهر الدراسات النقدية التي تناولت الرواية بالنقد اخترنا ما يناسب دراستنا:

- دراسة الشاعر والناقد عبد الرحيم جداية: بعنوان المجتمعات المصغرة.
- ودراسة نقدية قدمتها الدكتورة ريمة الخاني: تحت عنوان اسقاطات نقدية.
- ودراسة الأديب الناقد خليل النابلسي: بعنوان إطلالة على دوامة الأوغاد.
- ودراسة الأديب الروائي توفيق جاد: بعنوان شخوص يتحركون. طلالة من نافذتي على دوامة الأوغاد: الأديبة هيفاء عمر.
- ودراسة الأديب الروائي محمد الحفري: بعنوان الأبطال الذين لا يكبرون في السّن.
- ودراسة الأديب سامر المعاني: بعنوان البيئة المكانية في حوران.

وأول دراسة نستعرضها هي دراسة الناقد عبدالرحيم جداية

بعنوان: المجتمعات المصغرة
في رواية دوامة الأوغاد للروائي
محمد فتحي المقداد

(قدمت هذه الدراسة في حفل توقيع رواية دوامة الأوغاد للروائي السوري محمد فتحي المقداد يوم الأربعاء ٢٠١٧/١/١١م في صالة معرض أرب آرت جاليري / إربد)

بقلم: الشاعر والناقد عبدالرحيم جداية\ الأردن

توطئة:

يقول ابن خلدون في مقدمته في الكتاب الأول ص (٣٣): "إعلم أنّه لما كانت حقيقة التاريخ أنه أخبر عن الاجتماع الإنساني الذي هم عمران العالم، وما يعرض بطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل: التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضُهم على بعض".

من هذا المفهوم للمجتمع ينطلق الروائي إلى رصد معطيات الواقع المعاش، وما يتعرض له المجتمع من أحوال التوحش، والتأنس والعصبيات، إضافة إلى تغلب البشر، وتدمير عمرانهم، من هذا المنطلق يرصد الروائي حقيقة التاريخ، وما جرى للمجتمع ليس تاريخا بل سردا روائيا، يحمل من الواقع ما يجده مناسبا، ويحلق بالخيال حتى يستقيم البناء الروائي.

فهل الروائي والشاعر أم السياسي من يخون وطنه؟، يقول زكريا تامر في مقدمة كتاب **(سأخون وطني):-"فالأوطان نوعان.. أوطانٌ مزورة، وأوطان حقيقية، الأوطان المزورة أوطان الطغاة، والأوطان الحقيقية أوطان الناس الأحرار".** بهذا التصنيف يربط بين الوطن وشعبه الذي يشكل المجتمع بين الخيانة والوفاء، فكيف لمجتمع يعاني الذل

والفاقة، أن يكون صاحب ولاء لأوطان الطغاة؟ **فعن أيّ وطنٍ، وأيّ مجتمع سيروي لنا المقداد في دوامة الأوغاد؟**

مقدمة:

ما هو المجتمع المصغر؟

يعرف علماء الاجتماع، بأنّ المجتمع عبارة عن مجموعة من الناس، تجمعها شبكة من العلاقات، وهذا التعريف يشير إلى حجم المجموعة، وطبيعة العلاقة التي تربط هذه المجموعة، وكما يدرس علماء الاجتماع المجتمع، فإنّ الدراسات التربوية، تقوم على دراسة المجتمعات التربوية، والتي هي جزءٌ من المجتمع الكلي، كما يدرس السياسيون المجتمع ضمن تنظيماته، وأحزابه، ومؤسسات الدولة، والمؤسسات المدنية التي تشكل المجتمع.

فالمجتمع نظام، يجمع الأشخاص، بعلاقات ترابطية، أو تشاركية، ليحتمل المجتمع التعايش للمجموعات، التي لا تنسجم في رؤيتها مع المنظور الكلي للمجتمع، كي نعيد النظر بمفهوم المجتمع تحت الاحتلال، **فهل المجتمع هو نسيج المُحْتَل، والذي يقع عليه فعل الاحتلال؟.**

ونعيد النظر أيضا بمفهوم المجتمع، الذي يعاني من صراعات أهلية، وداخلية بين فئات المجتمع وطوائفها، فكيف **نعرّف هذا المجتمع المتصارع؟.**

هذه المفاهيم، التي يصعب تحديدها، إلا ضمن مؤسسات القانون الدولي، لكن هل ينظر الروائي إلى المجتمع من خلال تلك القوانين الدولية؟، أم من خلال ما يحصل على أرض الواقع من صراعات طائفية، أو عنصرية أو حزبية، أو تحكم فئة بفئة أخرى.

فالدولة مجتمع إنساني بتجانسه وتناقضاته وصراعاته، لكنّ الصراعات الكبرى، التي وصلت إلى أرواح البشر، أثارت الروائي، والشاعر، والسياسي، للحديث ومناقشة ماهية المجتمع ومؤثراته، وفي وقت الأزمات والصراعات يعمل الروائي على أخذ عينة من المجتمع الكبير **(الدولة)**، لمناقشة الوضع الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، إضافة إلى التغيرات التي تطرأ على المجتمع الكبير، فيحمل الروائي الرمز والتأويل سلاحا له.

ومن هنا جاء مفهوم المجتمعات المصغرة، تلك المجتمعات التي يأخذها الروائي عينة لاختبار المجتمع، ومعطياته، وأزماته النفسية، وما ينتج عنها من تداعيات، حيث أختار الروائي المصري، علاء الأسواني العمارة **(عمارة يعقوبيان)** لتمثل مجتمعا مصغرا عن المجتمع المصري، أما نجيب محفوظ، فقد أخذ مجتمعات مصغرة عدة في رواياته، مثل مجتمع الحي في رواية **(زقاق المدق)**، وقد تكون المدينة، أو القرية مجتمعا يحاوره الروائي، كما في رواية **(الشهبندر)** لهاشم غرايبة، **(ودفاتر الطوفان)** لسميحة خريس، إذ شكل تكوّن عمان في الثلاثينات من القرن الماضي، صورة مصغرة ومجتمعا مصغرا للمجتمع الأردني في عهد الإمارة.

وقد يأخذ الروائيون مجتمعات مصغرة مثل الشارع، أو الأسرة، مجتمعا مصغرا نوويا، يعالج من خلاله أفكار المجتمعات الكبرى للدولة، أو معالجة مجتمعات أكبر مثل العروبة، أو مجتمعات إنسانية، لتشكل الصورة الكبرى للمجتمع من خلال العينة التي تمثل المجتمع المصغر بصورته التي يدرسها الروائي، ويعمم معطياتها لى المجتمع الأكبر.

وفي رواية **(دوامة الأوغاد)** عالج الروائي السوري محمد فتحي المقداد إشكالية، وأبعاد الحالة، باختيار مجتمع مصغر يعيش في قرية أسماها "أم الخنافس"، حيث يحتوي هذا المجتمع المصغر في قرية أم الخنافس صورة المثقف (الأستاذ فهيم)، الذي طاردته السلطة بإقصاء كلّ فرص التطور في حياته، حتى يبقى في قريته حبيس حوارات صامتة في صدره.

نماذج من الرواية العربية:

١- **عمارة يعقوبيان**:

هذه الرواية التي يعالج بها الروائي المصري علاء الأسواني مجتمعه المصغر المتمثل في بناية تعالج تباين الطبقات الاجتماعية بعد ثورة الضباط الأحرار في مصر عام ١٩٥٢م، وما طرأ من تغيرات على المجتمع المصري بعد تأميم جمال عبدالناصر الأملاك، وهجرة كبار رجال الأعمال والمستثمرين.

٢- رواية السفينة:

والتي يعالج بها الروائي الفلسطيني جبرا إبراهيم جبرا العلاقات المعقدة بعد هزيمة ١٩٦٧م في فلسطين في مجتمعه المصغر المتمثل في سفينة.

٣- **رواية زقاق المدق**:

والتي يعالج بها الروائي المصري نجيب محفوظ أثر الحرب العالمية الثانية على المصريين، المتمثل في مجتمع الزقاق، وسقوط حميدة في أحضان الضباط الإنجليز، التي اقتصر عالمها على شباك البيت المطل على قهوة المعلم (كرشة)، ولما خرجت من الزقاق بصحبة فرج سقطت في عالم الرذيلة والفساد، وهذا ما جرى لمصطفى في دوامة الأوغاد، الذي خرج من عالمه المصغر إلى حدود لبنان فسقط في نفس الرذيلة والفساد، وباع وطنه وكنوزه، وكل مقدراته.

٤- رواية البيت الأندلسي:

والتي يعالج بها واسيني الأعرج خروج العرب الموريسكيين من الأندلس إلى وهران في الجزائر، من خلال بقايا البيت الأندلسي، والقائم عليه رابطا ما حدث في الأندلس مع ما يجري في الجزائر، لكن المقداد في دوامة الأوغاد لم يستحضر تاريخ أجداده الأمويين .

٥- رجال في الشمس:

ويعالج فيها الروائي الفلسطيني غسان كنفاني فضاءً ضيقا، وغريبا في خزان مياه، يشكل مجتمعا مرتكزه ثلاثة أشخاص ينتقلون سرا بين الحدود العراقية والكويتية، بقيادة **(أبو الخيزران)** الذي يمثل القيادة الانتهازية، حتي يلاقي المجتمع المصغر حتفه اختناقا في الخزان.

ولا تقتصر المجتمعات المصغرة في الرواية الأردنية والعربية والعالمية على هذه النماذج، فهناك رواية فرنسية تدور أحداثها في مصعد، وروايات تدور أحداثها في برج أو منارة بحرية، وهناك رواية **(جريمة في قطار الشرق السريع)** للكاتبة العالمية **(أجاثا كريستي)**، والتي تدور أحداثها في قطار، كما رواية **(بين روما وباريس)** للكاتب الليبي أحمد النويري، والتي تدور أحداثها في قطارٍ أيضا.

ومن الروايات الأردنية التي تدور أحداثها في قرية أردنية رواية **(دير ورق)**، للكاتب الأردني محمد رفيع، ورواية **(الفلوتي)** للكاتب الأردني محمد عبدالله الطاهات، والتي تدور أحداثها في قرية الصريح في محافظة إربد، ورواية **(تغريبة قريبة)** للكاتب الأردني محمد نائل عبيدات التي تدور أحداثها في قرية كفرسوم الأردنية، ومن أهم هذه الروايات الأردنية التي تدور أحداثها في قرية الحصن في محافظة إربد رواية **(ذيب الصالح)** للروائي الأردني موسى الأزرعي.

كلها قرى أردنية دارت بها أحداثٌ حقيقية وثقها الكتاب الأردنيون روائيا، لتمثيل مجتمعهم القروي في قراءة واقعية لما يجري من أحداث، وتطورات القرية ربطا بالمدينة الأردنية، وصولا إلى الجغرافيا العربية في فلسطين خاصة. على عكس المقداد الذي أخذ قرية افتراضية تمثل مجتمع الدولة بأركانها مثل: السلطة والمثقف والاعلام، حيث تمثل تغيرات قرية **(أم الخنافس)**، تغيرات المجتمع الأكبر الذي يقصده الروائي المقداد.

مرتكزات المجتمع المصغر:

أختار الروائي محمد فتحي المقداد في روايته **(دوامة الأوغاد)** مجتمع القرية لتكون مجتمعا مصغرا عن الدولة، وهذا المجتمع المصغر قد يكون جزءاً أصيلا من الدولة، ممثلا بشخصياته لمرتكزات الدولة، لكن القرية التي لا يحدها زمان، نتعرف إليها في الماضي أو في الحاضر، ولا تشتغل القرية على جغرافيا نعرفها بأثارها، وبحيراتها،

وأنهارها، فأم الخنافس قرية تم اختيارها بمجتمعها المصغر المتنوع، لتمثل مجتمعا أكبر لم يصرح به الروائي.

فالخنافس كما جاء في كتاب **"من عجائب الخلق في عالم الحشرات"** للمؤلف محمد اسماعيل جاويش، هي رتبة من الحشرات تتبع طبقة داخليات الأجنحة، من صنف الجناحيات، وهي قريبة جدا من أشكال الحياة المعرّفة، وكثيرة الانتشار، لم يكتشف العلماء من بين ملايين الأنواع من الخنافس، إلا أنواعا محددة، وجدت في المستحاثات، وكما جاء في **(معجم المعاني)**، فإن الخنافس منتنة الرائحة، وسوداء، قادرة على التكيف مع البيئة المائية، وهي أصغر من الجعل، ومن خصوصية الخنافس قدرتها على العيش في معظم البيئات، من الحقول إلى الغابات، والصحاري، وداخل أكياس القمح، وتتغذى الخنافس على النباتات والفطريات، والخنافس (beetles) هي فرقة غنائية بريطانية ذاع صيتها في السبعينات، وقلدها الشباب باللباس، وقصات الشعر الطويل.

لهذا لم تتحدد قرية أم الخنافس، في رواية **(دوامة الأوغاد)** زمانيا ومكانيا، **فهل اختار الروائي أم الخنافس لتصلح لكل زمان ومكان؟**، أم اختار هذا الاسم حتى لا يلتقي مع أسم محدد، في مكان أو زمن ما؟، فيصعب التعميم في النص الروائي.

وأم الخنافس، هي الأصل في بث تلك الخنافس عبر المجتمعات المصغرة والمكبرة، والخنافس مجتمع من المملكة الحيوانية، كأي مجتمع آخر، لكنه مجتمع واسع كبير، رغم أنه أخذ شكل عينة لمجتمع مصغر، لتمثل مجتمع أكبر.

فهل الحقيقة أن أم الخنافس مجتمع مصغر؟، ولماذا يختار الروائي مجتمعا مصغرا؟.

في المجتمعات الصغيرة، نحتاج إلى ما يعرفنا إليها، من خلال دراستها تحت مجهر يكبر العينة إلى مئات الأضعاف، لكن المجتمعات الكبيرة تحتاج، إلى عينة تمثيلية لدراستها، تؤخذ العينة قصدا ضمن مرتكزات قادرة على تمثيل المجتمع مهما كبر، وهذه العينة القصدية التي تدخل الراوي في اختيار شخوصها، ومكانتها الاجتماعية، فقد تدخل أيضا في بث فكره ورأيه، حول تلك الشخوص، التي تمثل المرتكزات في المجتمع المصغر، ليبث فكره ورأيه، ناقداً المجتمع الأكبر، من خلال تلك الرموز، التي شكلت مرتكزات المجتمع المصغرة.

وغالبا ما يقدم الروائيون نماذج السلطة في مواجهة المثقف، والانحرافات الاجتماعية، في شخصيات تتواصل مع السلطة لمكاسب ذاتية، في مقابل المؤسسة الإعلامية والتربوية، التي تهدف إلى توجيه المجتمع، والتعرف على تركيبته، وتغيراته، لدراسته والتعرف على الحلول المناسبة من أجل تطوير ذلك المجتمع.

وتبقى المرأة والطفولة من أولويات المجتمعات المتحضرة في تعليم النشء، بشرط أن تكون المؤسسة التعليمية مؤسسة صالحة، لها مفرداتها، وأهدافها، وغاياتها في بناء المواطن الصالح، **فماذا لو فشلت المؤسسة التعليمية؟، وماذا لو فشلت السلطة بإصلاح تلك المؤسسة التعليمية؟**، أو ساهمت بخرابها، ولكل مجتمع نقاؤه العرقي نسبيا، وله من

الدخلاء الذين يعيشون في المجتمع، بهدف الاستبداد والظلم، فالدخلاء: مكون مجتمعي قد لا ينتبه لهم المثقف، بدافع من السلطة، وقد تستخدمه السلطة لإثارة النعرات الاجتماعية، والطائفية، وتفكيك المجتمع، بما يتناسب مع مصالح الأشخاص في الدول الشمولية.

اللغة الروائية في المجتمعات المصغرة:

تمتاز اللغة في المجتمعات المصغرة، بأنها وصفية سردية، حيث جاءت لغة المجتمعات المصغرة لغة روائية، لأن المجتمعات المصغرة في الرواية هي مجتمعات غير حقيقية ومتخيلة، ومصنعة بشخصياتها وحركتهم في زمان ومكان يختاره الروائي، إمّا في لغة واقعية، أو لغة أدبية عالية، أو ما شاء لشخصياته أن تتحدث.

فالمجتمعات المصغرة، وليدة الحكاية، كما هي وليدة الفن الروائي، تأخذ من الواقع، محاولة تمثيله، لكنها قد تقترب منه في واقعية على طريقة الكاتب، او تبتعد عنه في فانتازيا وخيال يحدد معطياته الكاتب الروائي.

أما لغة المجتمعات التي يستهدفها الكاتب فهي اللغة اليومية، لذلك المجتمع بلكنته، ولهجته، وقدرته على التواصل بمفردات مجتمعية خاصة، قد يوظف بعضها في مجتمعاته المصغرة، التي تقترب أو تبتعد حسب رؤية الكاتب من مفاهيمها، ومدلولاتها اللغوية.

فاللغة الواقعية للمجتمعات المستهدفة، في النص الروائي، هي لغة تواصلية، بطبيعة الخطاب اليومي المستهلك، والممجوج أحيانا، أو المتداول بين أفراد المجتمع، وقد تقتصر اللغة على الكلمة، لكنها تتسع بالإيحاء الإشاري، في تعابير الوجه والجسد، وهذا ما يصعب تحقيقه في المجتمعات المصغرة الروائية، فالشخصيات لا تنطق بعفوية المجتمعات العادية، ولا تغضب إلا إذا أراد لها الكاتب ذلك، ولا تفرح وقد تغيب في الزحام، أو تعتزل المشهد بقصدية الكاتب، على عكس الشخصيات التي تتضخم في مشاهد الحياة اليومية، أو تضمر حسب مكانتها في المجتمع.

فهل لنا أن نحاسب الشخصيات البسيطة على لغتها المثقفة؟، أم نحاسب الشخصيات المثقفة على لغتها الركيكة في الرواية؟.

الجملة الموحية:

فقد حدد المقداد في الفصل الأول من روايته، طبيعة اللغة، وجمالياتها، وفنياتها حين استهل بقوله: **"ما إن بدأ الظلام يتسرب رويدا رويدا، وتنسحب آخر خيوط النهار متوارية هاربة من طغيان العتمة".**

في هذا الاستهلال يقودنا الكاتب بلغته، في جملة موحية حيث يحل الظلام، وتنسحب خيوط النهار، وتطغى العتمة، حتى يهيئ القارئ لما يليها من أحداث القهر، والاستبداد، والظلم، والانكسارات النفسية، في مجتمعه المصغر **(دوامة الأوغاد)** المتخيل، الذي يحاكي مجتمعا ذا خصائص مشابهة، فاللغة هنا دالة على فكر الكاتب وإيحاءاته للقادم من طغيان العتمة.

دلالة الأسماء:

وتحملنا اللغة في المجتمع المصغر، لاختيار أسماء لا تتشابه مع الواقع، وإن حاكت الواقع بسلوكياتها، وخصائصها، التي تدل عليها في المجتمع المصغر، مثل اسم (نمس بن فرهود) صاحب حكاية الضبع، التي لم يحتمل شخوص الرواية، وأطفالها على تصديق تلك الحكاية.

وقد استخدم الكاتب في مجتمعه المصغر تصغيرا لأسماء شخصياته، حيث يحتمل التصغير التحبب، أو يفيد التحقير، ومن هذه الشخوص المصغرة (سليطين) بدل (سلطان)، و(إرحيم) بدل (رحيم)، و(سويلم) بدل (سالم)، و(حميدان) بدل (حمدان)، فإسم النمس، وهذه الأسماء المصغرة أصطنعها الكاتب، ولم يصطفيها من المجتمع لنفسه، لتدل على رؤية روائية، ينحو كما قال في جملته الموحية: **بأن الظلام سيطغى.**

رمزية الأسماء:

وقدمت لغته أسماء رمزية، ذات دلالة موحيّة كما في جملته الموحية، في طغيان الظلام، مثل أسم **(شمسة)** المعلمة، التي جاءت إلى القرية، إذ يقول: **"شمسة أسم على مسمى، وجهها مدور كقرص الشمس، يشع بياضا ناصعا"**، كما يقول عن المعلمة (شمسة) في روايته: **"شمسة نجمة أشرقت فيي سماء القرية"**، أما رامز في مجتمعه المصغر فقد بقي اسما حائرا في رمزيته، حتى يطرق القارئ السؤال، **إلى ماذا يرمز اسم رامز؟.**

إذ تقوم هذه الشخصية (رامز) بتأويلها إلى عنوان السلطة، التي شكلها المقداد في دوامة الأوغاد مخفرا يتحكم بالقرية، ومصيرها، ومما يوحي به اسم رامز تعدد علاقاته مع المعلمة شمسه، ومع النمس بقالبين متناقضين في بداية الرواية، يتقابلان على الخطيئة في نهاية الرواية، فرامز اسم كثير التأويل والتعالق مع ماجد وطفولته، والمعلمة التي تسقط، وتسقط التربية معها، وناهض الذي يفر من وجهه، وعريبي الذي يصفه الروائي بقوله: **"شخص غريب الأطوار ببساطة، تصل حد البلاهة أحيانا، وهيجانه العنيف المؤذي إذا خالطه شعور بالضيق".**

فشخصية عريبي لا تتورع عن السب والشتم، ولا ننسى شخصية مرعي وفرج الذي صار عضوا عاملا في الحزب، وغيره من الشخصيات التي صنعها الراوي الديكتاتور

كي تحقق أهدافه، فالراوي الديكتاتور الذي ينطق الشخوص بما يريد، لا تختلف سلطته عن سلطة رامز القمعية، ولا تختلف سلطته عن سلطة شمسة التي سقطت، وسقطت التربية والتعليم معها، كما لا يختلف عن النمس الذي سقط بمشواره العدواني مع نفسه، وزوجته والمجتمع، باستثناء سلطة رامز التي خضع لها فذلته، وخذلته، ليتحول إلى **(قوّاد)**، فاتحا بيته للخطيئة، ويحرس الباب من عيون العابرين أصحاب الضمائر الحيّة.

الاتكاء وشخصية السارد:

هل اللغة ناتج لما يتطلبه المجتمع المصغر؟ أم هي ثقافة الكاتب في بنائه لمجتمعه المصغر؟

ليس من السهل الإجابة على هذين السؤالين، لكن تتبع اتكاءات الكاتب خاصة على الأمثال الشعبية، والمقولات العامية، نتعرف من خلالها إلى شخصية السارد وخلفيته الثقافية، الذي استعمل **(الشهر وراء الباب)**، كما استعمل **(عطّال بطّال)**، وهذه الجمل والمقولات متداولة في المجتمعات التي عاشها الكاتب، فأحالها في نصه الروائي معبرةً عن مجتمعه المصغر أيضا.

كما أتكأ على الشعر العربي المتداول في مجتمعه، ليعيد إنتاجه، وإحالته في روايته، حيث يقول على لسان الشاعر المتنبي: **"ما كل ما يتمنى المرء يدركه .. تجري الرياح بما لا تشتهي السفن".**

ويقدم لنا لغة معبرة، باستخدام جملة قد تبدو طبيعية في ظاهرها، لكنها تدل على بعد أخلاقي وسلوكي غير مقبول، وهذا ما جاء على لسان الأستاذ فهيم، الذي يمثل ثقافة المجتمع المصغر، والذي استشرق المستقبل، وتوصل إلى نتيجة: **(إن كل شيء عرضه للبيع)**، فهل يباع كل شيء حتى الشرف والأخلاق؟ **وإن بيعت ماذا يتبقى للمجتمع والمجتمع المصغر؟.**

تجليات اللغة الروائية:

واللغة عاملة بإبداع في نصه الروائي بقوله على لسان فارس: **"للأبيض لغة في عيوني.. يرددها قلبي بلا انقطاع.. والأسود يروي سيرة ظلام عن ظالم"**، فهذه اللغة المعبرة الرائعة تدل على درس لغوي عميق، يزدان به مؤلف هذا المجتمع المصغر، كما في قوله: **"سرقنا قطار الزمن السريع"** وقوله: **"رغم أن اتفقوا على أن لا يتفقوا"**، وقوله أيضا على لسان فارس: **"يبدو أن لا مناعة لدينا من اكتساب عوامل الخوف".**

مع هذه الاتكاءات اللغوية التي تحيلنا بمجملها الموحية، ولغتها الجميلة إلى فهم حركة المجتمع في بعديه المصغر والعادي، إلا أن الكاتب المقداد صاحب ثقافة واسعة في المثل

الشعبي، حيث اتّكأ عليه في مجمل الرواية مثل قوله: **"ابعد عن الشر وغنيله"**، وقوله: **"عيش الحيط الحيط وقول يا رب الستيرة"**، وقوله أيضا: **"ابعد النار عن قرصي".**

وقد استفاد في لغته الروائية من مفاهيم دولية شاعت في الآونة ألأخيرة، مثل القاعدة أطلقتها القوى العظمى ضد الشعوب النامية في قولها الذي بثه إعلامها المتسلط: **"من لم يكن معنا فهو ضدنا".**

فاللغة وعاء الفكر، كما يقول اللغويون، وهذا ما استفاد منه الروائي محمد فتحي المقداد في روايته دوامة الأوغاد، حيث شكل مجتمعه بالوصف والسرد، وتعدد المجالات اللغوية التي أشاعت في الرواية حياة خاصة بمجتمعها المصغر.

من الجمل الجميلة: **"وكأنها عصافير فرت عندما باغتها لصياد، أو الفخ المختفي تحت التراب وهي تلتقط الطعم"**

فهل هكذا التقط فهيم والنمس وقرية أم الخنافس الطعم من يد الصياد؟، وكأنّها عصافير اصطيدت بفخ وخنفسة صغيرة، يحاولون التقاطها فيقيض عليهم الفخ خلف جدران بقضبان حديدة، وأبواب مانعة تضبط حريتهم، وتعد عليهم أنفاسهم في بيوتهم قبل المعتقلات والسجون.

الأوغاد والحرية:

إذا تدبرنا الدلالة اللغوية السائدة لوغد التي تجمع على أوغاد و وغدان، نجدها دالة على معنى التقليل من الشيء وقيمته، دنوا يأتي بمعنى النقص والحقارة، لكن الوغد لغة تأتي على معان عدة منها، وَغَدَ القوم خدمهم أيضا، وَغُدَ الرجل ضعف عقله، كما تأتي لغة وغُدَ الولد كان رذلا دنيئا، فالوغد هو الأحمق الدنيء الرذل، وضعيف الجسم، والوغد خادم القوم بطعام بطنه.

إن هذه الدلالات اللغوية تستقيم مع ما شاع من دلالة اجتماعية بمعنى الدنيء والرذيل، والأحمق والنقص والحقارة لصاحب السلطة، وشيوع هذه الدلالة الاجتماعية ما جاءت إلا من تسلط وطغيان أصحاب السلطة على الشعب في مجتمعاتهم الحياتية، والتي استعارها الروائي محمد فتحي المقداد في عنوان روايته **(دوامة الأوغاد)**، ليقول لنا كيف يثير هؤلاء الأوغاد بحراكهم السلبي دوامات مجتمعية، تعصف بالمجتمع متناسية حقوق الإنسان، عابثة بالمجتمع في فوضى بؤرتها في الأرض، وتتسع كلما ارتفعت مشكلة دوامة، ودوارا يفقد المجتمع اتزانه.

وقد انتقل هذا المعنى بدلالته الاجتماعية إلى المجتمع المصغر في دوامة الأوغاد، فكان المثقف المتمثل في شخصية فهيم حائرا في زمن الفتنة، والأستاذ فارس متمسكا بالخطأ وكأنه الحق أو الصواب، فمتى يكشفان الحقيقة؟، ودوامة الأوغاد تخلخل مجتمعها في عصف وقصف، كأنها قنبلة نووية تأتي على كل ما بناه الإنسان، مما يثير الخوف في

الناس ليصبح الحليم حيرانا، والمتفكر لا دليل ملموس لديه، إلا فكرة البقاء والنجاة من دوامة الأوغاد، التي يقودها المتنفذون في الأوطان والمجتمعات الكبيرة والصغيرة.

ماذا لو كان معنى الوغد الذي يخدم القوم بطعامه **(الشعب)، هل يبقى مصرا فتحي المقداد على كتابة الأوغاد؟**، فالمجتمع المحاصر مسلوب الحرية والإرادة مجتمع وغد، يعمل كل أفراده بطعامهم، وفي كلتا الحالتين فإن الدوامة تهز المجتمع، ويهتز بها أفراد المجتمع، حتى تختل القيم والموازين، ويبقى الكفاح سبيل المجتمع الوحيد للنجاة من كلتا الدوامتين.

إنّ رواية دوامة الأوغاد رواية اجتماعية بامتياز، يبحث فيها الكاتب عن العدل والمساواة حسب المعايير الإنسانية، ولكن هذه الرؤية مثالية، لا تتحقق حتى في جمهورية أفلاطون، الذي أخرج الشعراء من جمهوريته، ليؤكد على نموذج الديكتاتور عند الفلاسفة، فالديكتاتور هو الذي سنحت له الفرصة للحكم والسيطرة، والشعب هم الأشخاص الذين لم تسنح لهم الفرصة للوصول إلى مراكز الحكم، فالمثقف والعامل، كالشرطي ديكتاتور بطبعه إن تملك زمام السلطة.

فالدوامة مخروط أجوف مقلوب، يتشكل أصحاب السلطة في رأسه المدبب السفلي، ويرتفع الشعب في قاعدته العليا، وكما قال الشاعر: **"قمم الأشياء المقلوبة قيعان"**، فقمة الدوامة هي القاع الذي عصف بالمجتمعات، فارتفعت المجتمعات بصبرها وتدبرها ومقاومتها، وصولا إلى إحقاق العدل الذي لا يأتي بالمساواة، بل العدل نصيب كل شخص لما قدم وضحى لأجل الوطن.

المثقف والسلطة:

يقول محمد عناني في مقدمة كتاب المثقف والسلطة لإدوارد سعيد: **"أيّ الصور التي ترسم للمثقف، أو التي يرسمها لنفسه"**، هذا عندما يتحدث عن التمثيل تصويرا للمثقف، أما من حيث المعنى فيقول إدوارد سعيد: **"ما يمثله المثقف بمعنى بما يرمز له، أو من يمثله المثقف بمعنى من ينوب عنهم أو يتكلم باسمهم"**، ليأتي دور المثقف احتجاجا في التعبير على أقل تقدير، وقد حاول محمد عناني استخلاص معاني التمثيل والنيابة، ودور المثقف مفاهيميا من خلال ما قدمه إدوارد سعيد من إشكاليات مفاهيمية في كتاب المثقف والسلطة.

وقد تجمد دور المثقف في شخصيتين رئيسيتين، هما الأستاذ فهيم الذي يستشرف المستقبل، والذي فكر مليا بأسباب قدوم أبو غليون ذراع السلطة في قرية أم الخنافس، أما الأستاذ فارس فقد كان صاحب قناعة تامة بما أدعاه أبو غليون ذراع السلطة بأنه شاعر جاء ليكتب شعرا يستوحيه من جو قرية أم الخنافس، وبدل الشعر كان يكتب أبو غليون التقارير لأسياده، مبلغا عن حركة المثقفين في المجتمع المصغر.

كما تمثلت الثقافة في دوامة الأوغاد في الآلة الإعلامية، التي تبث تقاريرها مباشرة، وكأنها محطات تلفزة عالمية بأخبار عاجلة من أم ماجد ونساء الحارة إلى أبي ماجد، بما يستجد من أحداث، والدور الثالث للمثقف فكان لسليطين الذي عقد مؤتمرا للقمة جمع فيه وجهاء الحارة ورموزها، حيث تجمد دور الأستاذ فهيم بكتابة استرحام لعطوفة المحافظ، وشكوى مبطنة على تحرشات رامز والمخفر، وطلب الاسترحام للمعتقلين، **فهل يليق هذا الدور بالمثقف فهيم في المجتمع المصغر لدوامة الأوغاد؟.**

نعترف جميعا بعامل الخوف المسيطر على الجميع، كما نعترف بالانتكاسة والفشل الذي مني به الأستاذ فهيم، والخديعة التي عاش حلمها الأستاذ فارس، إلا أن الرواية لم تظهر احتجاجا جديا من المثقف في مواجهة السلطة، ولم تظهر تصاعدا في الوقفات الاحتجاجية، والإضراب عن العمل، لأن المجتمع مضغ الدرس عند محمد فتحي المقداد لا يقدم خدمات للسلطة أو يعمل ضمن منظومة السلطة، لتؤثر الاحتجاجات والإضرابات على مسيرة العمل والبناء.

فلم تكن هناك مناجم أو مصانع تعطل مصالح السلطة باحتجاجهم، فتشكل المثقف فهيم وفارس وشمسة ضمن مجتمع جانبي منبوذ مسيطر عليه، ليس شمسة إلا السقوط في فخ رامز والسلطة، وليس لفهيم إلا الصمت وكتابة بعض الأوراق في دفتره الخاص، وانغماس الأستاذ فارس في ملهاة النكوص، والتشبث بأبي غليون القادم من الخارج، وليس للطالب طارق الباحث عن العلم إلا أن يسقط في براثن السلطة، مقدما لهم مخطوط الكنز في قرية أم الخنافس مقابل خروجه من السجن سليما معافى.

فما الكنز الذي تحويه قرية (أم الخنافس)، ربما المال، وربما الرجال، وربما ما تحتوي الأرض في باطنها، وربما وربما..، لكن النتيجة فشل المثقف في تقديم خطط استراتيجية للصمود أمام السلطة، وتعديل مسيرتها، أو مواجهتها بالحقائق، مما أدى إلى فشل المثقف في مواجهة السلطة.

الخاتمة:

دوامة الأوغاد عنوان أسئلة الراوي بعناية فائقة للتعبير عن الفوضى الخلاقة، والربيع العربي، ومقاومة الإرهاب، والعولمة، في قالب روائي يعيد رسم الأشياء وترتيبها في نموذج حدد الراوي معالمه في علاقات أهمها: علاقة المثقف بالسلطة.

فهو الشاهد على العتمة، وله مقالاته الملفقة، وهو الباحث في البعد الاجتماعي وتغيراته في مضمون روايته دوامة الأوغاد، وهو أي الراوي الذي يحركه محمد فتحي المقدادي بدكتاتورية القاص والحكاء، والغالب على حركة شخوصه في فضائه الضيق، ومجتمعه الذي يضيق على جسد امرأة نحيلة، يؤشر على انحراف المجتمعات التعليمية، وسلب المثقف قدرته على الاحتجاج، والتنديد قبل الرفض، لكن الطفولة المتمثلة في مغامرات ماجد الشقية هي أمل أم الخنافس في الخروج من دوامة الأوغاد.

إسقاطات نقدية على رواية
دوامة الأوغاد
للأديب السوري: محمد فتحي المقداد.

د. ريمه الخاني \ سورية

الكاتب الأديب محمد فتحي المقداد ، كاتب سوري مجدّ، يجدف بقوة للوصول لشط الأدب الحقيقي العميق الغور والرسالة الهامة، عرفناه في منتدانا " فرسان الثقافة" متابعا وكاتبا، ونراه منتشرا على عرض أهم المنتديات الأدبية، يثبت حضوره بشكل لافت وجلي.
شاهد على العتمة، خواطر ونصوص متفرقة معبرة جدا، تشرفت بالقيام بدراسة نقدية لها.

نظرة عامة على حال النقد اليوم:

بصدق وتجرد أقول: نقدنا اليوم بات سطحيا، متوغلا بالانطباعية ، دون عمق ولا إبداع، ولو عرفنا حال الأدب اليوم، لعرفنا لماذا بات النقد على هذه الحال.

يصنف الدكتور جورج زكي الحاج النقد: نقد إعلامي، نقد شارح، نقد أكاديمي ونقد إبداعي، فالأول يقوم على المديح أو الهجاء ويفتقر غالبا للمرتكزات العلمية، والثاني يكون وسيطا بين المبدع والقارئ.
أما الأكاديمي فلديه نقاط ثابتة ومسلمات وهي مهنته وغالبا يقوم عليه الأساتذة والمختصون.
أما الإبداعي فثقافته غنية، عميقة، مبدعه قارئ شمولي، يعرف ماذا يريد من النقد، ويعرف طريقه وهدفة تماما، و قد يكون على طريق الأدب ، أو يكون أديبا اتجه للنقد، وقد تسبق واحدة الأخرى، لكنها تصل للدرب ذاته، إن أخلص وجدّ واجتهد، وهذا ما يكرس الإبداع الحقيقي الذي ننشده، لأنه يحمل خبرة ومرانا وذائقة أدبية مهمة.

إسقاطات على الرواية:

العنوان لافت وقوي: دوامة الأوغاد.
إذن نحن مقبلون على قضية فيها مكر وكيد وتمزق، وأمر خطير.
العنوان معجميا: دومَ ودوام: قال الأَصمعي: أخذه دُوَامٌ في رأْسه مثل الدُّوارِ، وهو دُوارُ الرأْس.(لسان العرب)

يقال: أخذه دُوامٌ بالضم، أي دُوارٌ، وهو دُوار الرأس، سُمِّيت الدُّوَامَةُ من قولهم: دَوَّمْتُ القِدْرَ، إذا سكّنتَ غليانَها بالماء؛ لأنها من سرعة دورانها كأَنَّها قد سَكَنَتْ وهدأت.(الصحاح في اللغة)

ورد في لسان العرب:

وغدّ - يقال: فلان من أَوْغادِ القوم ومن وغْدانِ القوم وَوِغْدانِ القوم أَي من أذِلاَّئِهِمْ وضعُفائِهِمْ.
والوَغْدُ: خادِمُ القومِ، وقيل: الذي يَخْدمُ بطعام بطنه، تقول منه: وغُد الرجلُ، بالضم، والجمع أَوْغادٌ ووُغْدَانٌ ووِغْدانٌ.

الوغد في القاموس المحيط:

الوَغْدُ: الأَحْمَقُ الضَّعيفُ، الرَّذْلُ الدَّنيءُ، أو الضَّعيفُ جِسْماً.[1]
وعليه فما نعرفه عن الأوغاد هم أراذل الناس وما يسعون إليه من دوامات الشر والسوء، وهو بيت القصيد من العنوان على ما يبدو ، أو هذا ما نفهمه منه مباشرة.

الغلاف موفق:

وقد ذكر فيه صاحب اللوحة: يعقوب أحمد يعقوب، ويكفي النص الثاني في خلفيته ويغني.

متن النص:

يطالعنا نص تعبيري وصفي تصويري إبداعي يصف حركة الناس:

(ما إن بدأ الظلام يتسرب.. تنسحب آخر خيوط النهار.. متوارية هاربة من طغيان العتمة)، نلاحظ توازي المقدمة مع العنوان ليضعك الكاتب في جو الرواية فورا بمشهد واقعي مُعاش.

بينما يلعب الأولاد (الطميمة-لعبة شعبية سورية يغمض الطفل عينية ويعد ويختبئ الأولاد ليجدهم.

يظهر لنا الشخصية الأولى: نمس بن قرهود، هل سمعنا بهذا الاسم قبلا في مسلسل ما؟...ما يهمنا هنا وصفه الأولي، لتعريفنا به .

فكان واصفا جلسته على سطح البيت مع إبريق الشاي الخ.. حيث يدور حديث في الحي عن بطولاته مع الضباع وحكايته عن مغامراته لهم عصرا.

ماجد الولد الذكي الذي فكر بالخروج باكرا لمعرفة قصته الحقيقية التي يشك بها، فعرف كذبه، وأفخاخه.

حيث بدأ الخبر بالتسرب؛ فيشتري النمس بندقية صيد من فليحان مضطرا، واشترى منه أرضا بثمن بخس. حتى الناطور نواف بات يسخر منه كما النساء.

تستمر متابعة ماجد له بكلمة تتكرر على معظم مساحة الرواية: **(سجل عندك يا تاريخ)**.. وكان لسان حال الكاتب يقولها، فما نعرفه عن أي مؤلف، أنه مهما حاول وضع قناع الشخوص ، يبقى لسان حاله يتسلل بين الفينة والفينة، ينطق بما يريد قوله قلبه وعقله.

فالمشهد واقعي تصويري تشعر وكأنك سمعت به من قبل، خاصة لما كانت الأمهات قديما تخيف أطفالها بقوله: نام قبل أن يأتي البعبع.. هو مشهد مألوف، ما الصلة هنا؟ هل تلك البيئة مازالت حاضرة في الريف؟، أم هي عامة، أم بيئة مضت وانقضت يذكرنا بها المؤلف، لغرض ما؟.

وهل النمس شخصية عصرية خرجت من الماضي، فكانت نتيجة لواقع مهزوز؟.

ورد في نهاية الصفحة ١٦:

الأيام التي تأتي بالجديد قليلة في الحياة.. ربما لحظة ينتظرها الشخص مدى حياته، وربما لا تأت أبدا..

وما أجملها إذا كانت رمية من غير رام وبلا تعب..

وفي بداية الصفحة ١٧ من النسخة الالكترونية تمر بنا جملة:

الدوامة عملية بناء جديدة ، هدمت نسيجا اجتماعيا متماسكا في عتمة ليل طويل.....

جمل وعبارات فيها مغزى عميق، لا يمكن إسقاطها على المشهد لبساطته بشكل عام. حتى ويمكن للمؤلف صياغته بطريقة أقرب للموقف، ربما لقد كانت تجربة جديدة للأطفال، علمتهم أن الكبار يكذبون أيضا..(مثلا).

ظهور شخصية موظف الأمن رامز الثلاثيني، وضيافة النمس له، وهمس ولمز أهل الحي، وبحث النمس على كذبة جديدة، وحسدهم له.

ظهور أبو ماجد سعفان تاجر القماش الكبير في الرواية.

في الصفحة ٢٣ يطرح قضية المعلمات والتعليم في القرية، وظهور شخصية شمسة الجميلة في القرية.
وبدأت شكواها للمفرزة الأمن دفاعا عن نفسها من شاب تعرض لها لفظا، ليحول الشكوى لاسم النمس الجاهل، فيطالعنا مظهرها المستهتر وتنورتها المنحسرة عند جلوسها بانتظار انتهاء التقرير.

كقارئ أقول أنها استفزت من حولها كما ورد في النص، ومنهم من يقول كل حر بسلوكه كنظرية غربية، ولكنني كقارئة أقول وبتجرد، معظم المواقف المفاجئة والسيئة والاخلاقية حصرًا، والتي تظهر في الروايات، أصلها سلوك غير سوي، ادى لنتائج أسوأ، فلماذا نذرف الدموع ونحزن على الأبطال، الذين وضعوا أنفسهم موضع الاتهام بأيديهم؟.
أم نحزن لسذاجتهم؟.

ورد في الصفحة ٢٩، ظهور بطل جديد في الرواية "عريبي"[٢]وصفه المؤلف بـ القميء:
ورد في مقاييس اللغة:

جدم: الجيم والدال والميم يدلّ على القماءة والقِصَر. رجل جَدَمةٌ، أي قصير.
و**الشاة الجَدَمة**: الرّدِيّة القَمِيئة. والقَماءةَ تعني الذِلَّةٌ.[٣]
ويكمل وصفه بالبلادة والطيبة معا...فماذا يعني اقتران الاسم بالصفة؟، أم هو اسم والسلام ، خاصة أن الاسم غير فصيح أبدا وربما بخص المنطقة الخاصة بالرواية.
ويسخر منه الأولاد بعد تعثره وينصحه سليطين بالتجاهل، يهمنا هنا توظيف الشخصيات والحدث، هل يقدم لنا صورة أولاد الحي الفوضويين وتصرفاتهم غير المسؤولة؟ وعدم زجر المجتمع لهم؟.
أم شحدة وبناتها الخمس ورغبتها بإنجاب ولد ذكر، مشكلة مجتمع كامل، يمجد الذكورة الطاغية فيه فكرا وسلوكا.
ليدخل النص في مجتمع موغل في الخرافات والشعوذة بميلاد شحدة أو المشورب، الذي يصبح شيخا، هذه الصورة المكرورة في رواياتنا الواقعية، وكأن المتدينين هم كل هؤلاء...
أليست تنفي نماذج ناصعة من المرجعية البيضاء التي سطرت للوطن خير النماذج مثل بدر الدين الحسيني القدوة العارف بالله ،وأبو حامد الغزالي مدرس المدرسة النورية بدمشق ، الخ..
وهناك في مناطق عدة من بلادنا فيها أمثالهم ، فقد قدم لنا هؤلاء مريدين وطلابا قدوة وجيل قويم

[٢]يلفت نظرنا الاسم الذي لاوجود له معجميا، هل هو لهجة سريالية كما نعلم ، بحيث تكون تصغير ل عربي؟ الرد عند سكان تلك البيئة التي تحدث عنها المؤلف

وتركوا لنا علما وفيرا.
لماذا لا نتكلم عنهم، ونقدم للقارئ النموذج الجيد القريب من هؤلاء أيضا حتى لا نعمم؟.
ثم نقارن حال من تطفل على هذا المسار الحساس في الأمة، فشوهها؟.
لأنه علينا البحث عن توظيف لكل شخصية وموقف، ولكن أن نقدم كل شيء فيه على أنه القاعدة؟ لماذا؟.

هذا لا ينفي مهارة المؤلف في بث روح التشويق في ثنايا السرد الروائي طبعا، ونجاحه في هذا.

ويدخل من جديد شخصية التاجر عكاش وصديقه فهيم، كنموذج إيجابي في المجتمع الشامي العريق. وكان يمكن للمؤلف التعريج عن أصولهم وليس بملزم، ولكن لإرواء فضول القارئ، ولكن لأنه أدخله على المجتمع المختلف عنه.

هنا نرى عرضا لفقر أم شمسة الأرملة، وتفكير رامز فيها عاطفيا.
ص٤٢ويستعرض المؤلف بسرعة الواقع السياسي بين الحزبيين والمواطنين، قضية الوحدة بين مصر وسوريا، حيث يعلم من يطالع تاريخ سوريا أن شكري القوتلي كان من أشرف وأنزه الرؤساء وقد تنازل عن الرئاسة لهدف وطني هو ألا ينزاح للوحدة المغشوشة.

وطرح تلميحا عن القضية الفلسطينية ومعاناتهم وإصرارهم على الكفاح، وانعكاس ذلك على المجتمع ، حيث يعرض كيف غدا محل عكاش مهوى المتناقشين والمتحاورين.
يصف لنا في الصفحة ٥٩ عن فريز المتملق، وهي شخصية منتشرة في مجتمعنا حقيقة، وصوليون عموما.

خيبة أمل النمس من سليطين، وتوقه لدخول الحزب بعرض من رامز وأنانيته المفرطة، واستجابة رامز له بتعيين ابنه فرج.. ص٦٢

تبدا صفحة ٦٧ بوصف لقرية أم الخنافس، كبيئة سورية واضحة المعالم، حميمية العلاقات الاجتماعية.
صفحة ٦٩ واعتراف رامز لشمسة بحبه.

ونطالع في الصفحة ٧٦ بداية موفقة حيث قال: نطاق القرية ضيق لا يتسع للأسرار وكتمانها... فعلا المجتمع الحميمي تطير أخباره على الأثير...وصف حقيقي واقعي واضح، يكلحها بأم ماجد وزوجها سعفان وما تحدثه به عن أخبار القرية.
الأمثال الشعبية المعروضة والأقوال، تشعرنا، بأنه شعب مطلع نوعا ما، و على السجية.
ظهور شخصية الشاعر أبو غليون في الصفحة ٧٩، ولقائه بشخوص القرية، وتقليد أولاد الحارة له، هل فعلا للشعراء خصوصيتهم وهناك من لا يفهمهم؟ ام هم بسطاء حد السذاجة؟.

تطالعنا الصفحة ٨٢ بوقوع بطلي الرواية شمسة ورامز في المحظور، وكان هذا الامر من ضرورات السرد.. الذي كنت أعتذر حقيقة عن نقد أي رواية لأنه يصبح محورا فيها، ونكمل:

يجد النمس له حلا بعد انتشار الخبر، وظهور خاتم ذهبي على إصبع شمسة، كتغطية وبلا زواج...
ظهور شخصية الشاب النشيط والموظف، الصفحة ٨٧

في الصفحات التالية تجسيد لتكوين الشعب النفسي، وخوفه من المخابرات والتقارير، والظروف العصيبة المبنية على ذلك، من خلال شخصية فهيم ومن حولها.

نلاحظ في تكنيك الرواية البدء في معظم الفصول- رغم عدم تقسيم الرواية لفصول في أصها- باسم الشخصيات، ونرى أنها تسهل على القارئ حفظ شخوص السرد وأبطاله، الذي يظهرون تباعا.

مازال السرد بطرح إشارة استفهام : لماذا تكررت عبارة : سجل عندك يا تاريخ بغير موضع حساس كما في الصفحة :٩٩.
ليختم الفصل بنفس العبارة، وملاحقة رامز لتحركات أم فرج.. فهل تلك كانت الغاية منها؟، نعتقد ذلك.
تدخل إلينا شخصية أم مرعي في الصفحة:١٠١، وغرق ابنها فهد وبكائها عليه.. هل يجهل أهل القرية السباحة؟، لم توضح الرواية ذلك، إلا قليلا في الصفحة ١٠٨، وشرح لحياتها العاثرة مع زوجها كنموذج لاستعباد المرأة وقلة تفهم طبيعتها.
ولقطة ماكرة لنساء الحي وبكاءهم على أنفسهم لا على ما حصل لأم مرعي.. وهذا انعكاس صحيح ، فالبشر مهما تعاطفوا مع قضايا غيرهم، تبقى المقارنة حاضرة في أذهانهم بين متاعبهم ، ومتاعب غيرهم.
الصفحة ١١١ وظهور شخصية مصطفى المثقف القادم من مطار بيروت، والقبض عليه لتشابه في الأسماء، ليتبين في الصفحة ١٣١ غرض لافت أناني.
في الصفحة ١٨ يقدم لنا المؤلف مصطفى في مشهد السجن.. قائلا: في السجن تتضاءل الأحلام...
نعم كما قال المؤلف تماما: تتضاءل الأحلام... ويتلاشى الشعور بالوقت والحياة والمحبة.. يصبح شيئا مركونا في زاوية الدنيا...ينتظر من يخرجه للنور...
الصفحة ١٢١ يكرر المؤلف ذكر ماجد ومراقبته للأحداث، وكأنه عنى فيه الإشارة للجيل القادم الذي خبر ما حوله وقادر على إيجاد حل.. باجتماعاته المتكررة على حداثة سنه وسنه أصدقائه.
ومازال أبو غليون يتكرر حضوره في المشاهد فماذا قدم في مسرة أحداث القرية من مهم؟.
خروج مصطفى في الصفحة ١٤٥.[٤]
يطالعنا في الصفحة ١٥٤ تهجم دموي على النمس لأن ابنه بات معينا لرامز وكانه عميل للمجتمع، عين عليه، وبات لوطيا قوادا.
في الصفحة ١٥٨ يمر ذكر إسرائيل، وكانه مقارنة بين سلوك أفراد القرية وسلطتها، ومعركتنا الحقيقية.
الصفحة ١٥٩ اجتماع نسائي ومقارنة اخرى في طرق التفكير والمداولات، وكأن الجناح النسائي ، أكثر إنسانية .

[٤] ربما وجدت كلمات متفرقة مثل: طربيزة وكوتشينة، يمكن الاستعاضة عنها بمرادف فصيح، لكنها لم تخدش النص، هو رأي خاص.

الصفحة ١٦٠ ومداولات في محل عكاش ورفض لسلوك النمس جملة وتفصيلا، تتلوها عرض حالة مرعي وشقائه.
في الصفحة ١٧٣ تذكر فاطمة تذمرها من النمس وما أحدثه في ضمائر أهل القرية، وهل هي الضمائر فقط؟ جملة ثقافية لا تخرج من فرد بسيط هناك كما رأيت ..الخ.
الصفحة ١٨٣ ووقوع أم فرج، وإعادة الإشارة لضعف المرأة في تلك البيئة، وأثرها الطيب الذكر.
يظهر أبو غليون طالبا من الضابط نقل شمسة ورامز حتى لا تهتز هيبة الدولة.
في الصفحة ١٨٩ تطالعنا جملة لفارس: حفلة قصقصة الأجنحة.. عبارة موفقة.. فهي عقيدة عامة في انضباط الدول كما ورد، لا يمكن لأحد أن يحلق عاليا.. فهم مربوطون بخيوط متينة.. في الصفحة ١٩٨ يقارن ماجد النمس بشايلوك، تاجر البندقية، وكانه أكثر إيذاءً من يهودي لأنه يؤذي المجتمع من الداخل، ويذكر بقضية الضبع الواهية.

اختفاء النمس..

صفحة ٢٠٤ والاهتمام باستخراج الكنز الذي حقق مع مصطفى لأجله.
في الصفحة ٢١٦ أعجبتني عبارة :صراع على النفوذ بين الكبار من الأقطاب، والصغار يذوبون كما الصابون..
أليس هو الواقع ؟
الصفحة ٢١٨ وحمل شمسة الحرام.
الصفحة ٢٢٠ واتهام رامز لشمسة بممارستها مع شباب الحي!.

مقتل رامز.

حقيقة وبصرف النظر عن تفاصيل الرواية، هي نسج ناجح لواقع صوره المؤلف باحترافية عالية، وكان يمكنه التركيز على نموذج كمصطفى والتوسع فيه لأنه محور الأوغاد عموما لو جاز التعبير، وهم عام لأنه يحمل المستقبل، والأمل.
شكرا لك لاختياري لهذا العمل النقدي.[٥]

إطلالة على رواية دوَّامة الأوغاد
للأديب محمد فتحي المقداد – سورية

للأديب والقاص \خليل النابلسي- سورية

شخصيات الرواية .(النمس)

الشخصيات في العمل الروائي تعتبرُ من أهمِّ عناصر البناء الرّوائي، إذ أن الشخصيات هي المحرك الأساسي للحدث الرِّوائي، ونموِّ وتصاعد وتشابك خيوط العقدة والوصول الى الحل، وعن طريقها يتم طرح الرؤى والقضايا التي اهتم بها الكاتب.

ورواية دوَّامة الاوغاد مزدحمة بالشخصيات الرئيسة والثانوية، ولكنّ براعة الكاتب ابعد التداخل بين الشخصيات وحافظ على نسق الترتيب المنطقي لتطوّر كل شخصية، وكما ورد في الرواية فقد جعل الاستاذ(فهيم)هو البطل الإيجابي لما يتصف به من شمائل، كما جعل النمس البطل السلبي لما يتصف به من خبث وخداع وتملّقٍ وحقد ورياء وكذب، وقد وصفته انا بالبطل السلبيّ مستعملاً أُسلوب الذّمّ في قالب المدح، وهو الأسلوب الاشد وقعا في النفس.

وقد يري البعض أن شخصية النمس شخصية مركبة معقدة، ولكن الكاتب سبر غورها وفرز أحاديات التركيب العقلي والنفسي لهذه الشخصية التي لعبت دوراً هاماً في سير أحداث العمل الروائي. وقد رصد الكاتب تحرّكات هذه الشخصية بآلة تصوير دقيقة، وباختصار شديد كان النمس يمثل الخادم الأمين للسلطة فهو صاحب الدسائس، ونقل الأخبار، والتقارير، وبثّ الإشاعات الكاذبة، ومراقبة الصغير والكبير، حتى بات الجميع في رعب من لسانه وقلمه الذي يقطر سُمّاً زُعافاً. وقد جعل الكاتب هذه الشخصية تحت عين آلةِ التصوير دائماً، ليس لأنه يستحق ذلك، ولكنه كان المحرك والباعث على تصاعد الأحداث وتشابكها.

وقد تميز الكاتب بقدرته على تصوير المكان والشرائح الاجتماعية التي عاشت الأحداث خلال نهايات القرن الماضي وبدايات القرن الحالي، كما أبدع الكاتب في

تصوير الوضع الاجتماعي والنفسيّ لأهل بلده، (فالنمسُ) وكل من سار في ركبه افسدوا حياة القرية وسكانها. وقد مثّل (النمس) شخصية المخبر في قصيدة (المخبر) للشاعر بدر شاكر السّيّاب، والذي يقول فيها:

"أنا ما تشاءُ أنا الحقير

صبّاغ احذية الغُزاة وبائع الدّم والضمير

وحتى يقول:

أنا الدمار أنا الخراب".

وكذلك في قصيدة (**المخبرين**) للشاعر العراقي **أحمد مطر**.

وهكذا كان (النمس) يشبه حيوان النمس سلوكاً، فكان هو ومن سار في ركبه قد عاثوا في الأرض الفساد. وقد أحسن الكاتب عندّما بدل اسم (النمس) بـ(شايلوك)وهي الشخصية السلبية ذميمة السّمعة، ذميمة الخلق والخُلُق في مسرحية (تاجر البندقية) لشكسبير، فقد جُمعت رذائل الارض وجُبلت في هذا النمس حيث كان اسماً على مسمىً في داخله وخارجه.

ونتيجة ذلك فقد عاش أهل البلدة في توجّسٍ وخيفة، فالأب لا يثق بابنه، والأخ لا يثق بأخيه، ولا الصديق بصديقه، فالكل يخاف النمس وامثاله حتى باتت البلد في توتّر دائم، وتوقّع للاعتقال، لأن التُّهم جاهزةٌ حسب العادة وهذا الوضع هيّأ لما بعده من احداث وتطورات والتي مازالت مستمرة حتى الآن.

خليل النابلسي١١/١/٢٠١٧

***

شخوص يتحرّكون
في دوّامة الأوغاد للروائي محمد فتحي المقداد
إربد السبت ــا ١٤-١-٢٠١٧

بقلم القاص و الروائي - توفيق أحمد جـــاد\ الأردن

تكوّن عنوان الرّواية من كلمتين، هما الدّوامة و الأوغاد ، فالدّوامة التي أخذت شكل المخروط " المقلوب " ذات القاعدة الواسعة، والتي تمثّلت في الواقع بالسُّلطة وليس الشعب، لتبقى تهبط في مستواها و محتواها، لتضيق كلّما هبطت دائرتها، فتصل في أسفلها، إلى مواطن بسيط يرنو "كما مثّله الراوي" إلى الأعلى، فإن تماسك بقي بالقاع، وإلا أخذته الّدوامة لتُلقيه في غيابة البحر المظلم.

أما الأوغاد فقد احتملت مدلولاتها في الرّواية ثلاث دلالات، أوّلها الشعب، وثانيها السّلطة، وثالثها الشّعب والسّلطة، والوغد في مجتمعنا عُرف بأنّه الشّخص الدنيء.

يبدأ محمد فتحي بالغوص بشخصيات روايته، في بحر الدوّامة من خلال "النّمس"، وهو الشخص الغريب، الذي أتى إلى قرية "أمّ الخنافس"، التي حملت اسماً لا يبتعد عن الدّوامة والأوغاد في مدلولها اللغوي، محاولاً أنْ يَظهر في القرية، ويثبت وجوده من خلال الكذب، فالدّم الذي كان يلطّخ قميصه، لمْ يكنْ دم "الضّبع" كما ادّعى لزوجته، وإنّما كان دمه هو، حيث قام " الرّاصد " بكشف الحقيقة، من خلال الشباب الذين تشاجر معهم، ليُثبتوا بأنّه حينما حاول سحب العصا من يد أحدهم، جرحته العصا فأدمت يده، ليصبح كذّاباً معروفاً بكذبه، ويعود للسقوط من جديد، إلا أنّه استغل حضور السلطة للقرية والمتمثلة ب "رامز"، وظّف هذا الحضور لخدمته، باستقباله له في بيته، وادّعائه بأنّه قريب، عاد من غيابٍ ليتذكّر ابن عمّه " النّمس".

تقارُب بدأ يؤتي ثماره للنمس، إلّا أنّه تمّ كشف الحقيقة، فأدّى به التقارب من السلطة، إلى القبول بأشياء لمْ يستطعْ رفضها، من خلال استقبال لقاء غراميّ، بين "السّلطة" المتمثلة برامز، والمدرّسَة ابنة المدينة المتحررة، والتي جاءت إلى قريةٍ محافظة، فيؤدي هذا اللقاء إلى تدني المستوى الأخلاقي في التربية والتعليم وسقوط السلطة في غيابة النّساء والفساد.

بدأ محمد فتحي بتوزيع شخصيات روايته، التي اجتمعت وبدأت تدور مع الدّوامة، من خلال حيّ بسيط في " أمّ الخنافس "، التي بدأتْ تحتضن في محيط دورانها قادمين جدد، حضروا كلّ في مهمة معينة، فمثلاً رأينا " المشورب " ، ابن فلسطين الذي ظلمته السلطة و حرمته من عمله في سلك التعليم، ليتّخذ من السّحر والتّنجيم و عمل الحُجُب،

عملاً له يسترزق منه، إلّا أنّ الدّوامة لا تترك أحدًا، إلّا وألقت به في غياهب البحر، أوْ لفّته بداخل محيطها الذي لا يأخذُ إلّا للأسفل، وضمن الدائرة الضيّقة التي تنتهي بالصفر واللاشيء .

المشورب.. هذه الشخصية التي ولدت في فلسطين، ليتفاخر به والده، حالماً بأن يكون رجلًا له هيبته، فأسماه "المشورب" .. أصرّ الروائيّ المقداد، على أنْ تكون فلسطين – وهي القضية المركزية- حاضرة في عمله هذا و بقوّة، كما كانت حاضرة في مؤلفه السابق "شاهد على العتمة".

ذكاء المشورب، وعلمه في مادة الرياضيات التي كان يُدرّسها، لمْ يستطيعا إخراجه إلى سطح الدّوامة، وبلوغ القاعدة الواسعة، بلْ دارت به وألقتهُ بالحضيض.

قام المؤلّف بتوظيف المثل الشعبي خير توظيف، استخدم الكثير من الكلمات، المصطلحات، الأمثال الشّعبيّة، والأقوال التي ربما اندثر بعضها، والبعض الآخر في طريقه إلى الزوال والاندثار، إلّا أنّ "محمد فتحي"، أحياها من جديد، من خلال التوظيف المنطقي للمكان والزمان والحدث.

كان الإعلام المحلّي حاضرًا في روايته، من خلال ماجد وصديقَيه أنيس و محمود، الذين كانوا يصرّون على الوصول إلى الحدث بكلّ تفاصيله، وفضح الحقائق، إلّا أنّهم لمْ يلجؤوا إلى السلطة الفاسدة، لإصلاح الأمور، ولكنّهم كانوا يتركون ردّة الفعل إلى النّاس، والتّصرُّف كما يريدون، فكانت مقولتهم التي اشتهروا بها، لتأكيد الحَدَث، وعلى لسان ماجد (سجّل يا تاريخ)، ليرد عليه صاحباه (سجّلنا وحفظنا).

كان الأستاذ فهيم والأستاذ عطاالله وفارس، هم بيضة القبّان "في مقرّ تجمّع الجميع بدكّان عكاش"، فكانوا يمثّلون الاتزان والتّعقّل، حتّى مع عريبي، الذي كان "كأشعب"، ولكنّه امتاز بعصبيّته، وكثرة سُبابه وشتائمه.

مثّلت النّساء في الحيّ، من خلال أزواجهنّ، الصّفة الإعلاميّة في القرية، والقيام ببثّ الأخبار وانتشارها، عن طريق اجتماعاتهنّ، فلا يتركن شاردة ولا واردة إلاّ ويقمن ببثّها ونقلها، سواء كان ذلك عن قصد أو غير قصد.

مصطفى، شخصيّة أخرى، كانت تُحاول الصّعود إلى أعلى الدّوامة، وذلك من خلال البحث عن الذّهب، إلاّ أنّ الأمور ومن خلال الارتقاء إلى القاعدة في الدّوامة، أوقعت به في يد العميد، حين كان يعبر الحدود من تركيّا إلى سوريا، وعند القيام بتفتيشه، وجدوا في جيبه خارطة الكنز الموجود في قريته أمّ الخنافس. استولى العميد على المبلغ الذي كان معه كرشوة، مقابل تبرئته من تهمة الخيانة وإطلاق سراحه، لم يكتف العميد بالمبلغ، أخذ الخارطة وأصبح يرنو إلى الكنز وذلك من خلال اللواء، الذي اكتشف كذبه واخفائه لفلوس رشوته من مصطفى، فأودى به سقوطاً إلى قعر الدّوامة. ترتفع الدّوامة وهي تدور لتصل إلى رأس النّظام، الذي قام بإرسال الجرّافات وطائرة هليكوبتر إلى القرية، ومن ثمّ الاستيلاء على الكنز وترحيله، وإسقاط الجميع في أُتون الدّوامة.

شكّل أهالي القرية مؤتمر قمة لإصلاح الأمور في قريتهم، التي أودى بها القادمون الجدد إلى الهاوية، فقام سليطين بدعوة إلى اجتماع لأهل القرية، استغل أبو غليون خبر الاجتماع للحضور والخروج بتقرير مُفصّل عن تفاصيله. أبو غليون هذا كان قد حضر

إلى القرية، مدّعياً أنّه شاعر، ولكنّه لم يكن أكثر من مُخبر وكاتب تقارير للسلطة، ومهمته الأساسيّة، هي الكشف عن مكان الكنز المدفون في القرية.

الأستاذ عطاالله، هو من قام بدعوة أبي غليون لحضور الاجتماع، نقل تفاصيل ما تمّ تداوله، ناقلاً خبر تمرّد أهل القرية على السّلطة وسمعتها السّيئة بما حصل مؤخراً من رامز وشمس، ولقائهما الغرامي في بيت النّمس، عرض خدماته للتّوسُّط لهم لدى المحافظ لتلبية رغباتهم، أعلم رئيسه الأعلى بالتفاصيل وطلب منه التّوسُّط لدى المحافظ لاستقبالهم وتلبية مطالبهم، لتحسين صورة السّلطة في نظرهم، للوصول إلى الكنز الدّفين بسلام.

قامت القاعدة الواسعة والمتمثّلة بالسّلطة، بزجّ الجميع في خطر الدّوامة لتلقي بهم كنفايات وأوغاد في قعر الدّوامة، وبالتالي السّقوط في ظلمات المجهول.

رسم محمد فتحي المقداد لوحة فنيّة، وقام بتلوينها بألوان عدّة، من خلال واقع الدّكتاتوريّة في فترة السبعينيّات من القرن الماضي، ليصل بنا أخيراً إلى المخروط المتمثّل بالدّوامة، هذا المخروط الذي بدأ مقلوباً، وبقي مقلوباً، لتعتمد القاعدة الواسعة "المتمثّلة بالسلطة"، على الرّأس المقلوب للأسفل، والذي لا يحمل حتّى نفسه، ويلفظ كلّ منْ يقترب منه إلى الهاوية والظّلام الدّامس.

***

من نافذتي أطلّ على
رواية \ دوّامة الأوغاد
للروائي – محمد فتحي المقداد

بقلم \ هيفاء عمر
أديبة سورية مقيمة في الإمارات

أروع لحظات القراءة بالنسبة لي على الإطلاق؛ حين أسمع أنين الأديب من أفواه شخصيّاته. حين تتكشّف لي معاناته وأسئلته وحيرته وخبراته الحقيقية. حين أقف على الجملة قائلةً: ها هنا كان يتحدث عن نفسه قطعًا.

في هذه اللحظات الفذّة يُشعرني الصدق الفني باقتراب إنسانيّ شديد من الأديب أو الكاتب؛ كأن معاناته معاناة حقيقية لي؛ تؤثر في ولا تمحى أبدا. وتزداد اللحظة كثافة وثقلًا لأكابد ما يقول مكابدتي لتاريخي؛ حين تتشابه التجارب والمكابدات، والآلام والهمم.

قرأت كل كتابات الكاتب محمد له أسلوب جميل يتغلغل في النفس بخبرة موازية، وألم مواز، ومكابدة موازية، وليس بمحض تلقين أيديولوجي أو وعظ مباشر.

بل هو أسلوب يحفر في النفس دروبه العميقة التي تجعل من العبرة حياة حقيقية، ومن الحياة عبرة هادية.

وبهذه المناسبة أبارك للكاتب محمد فتحي المقداد ولكل أهلنا ببصرى الشام ولكل السوريين الأحرار بصدور روايته.. دوامة الأوغاد.. وتحقيق حلمه.

ألف ألف مبروك الكاتب محمد فتحي المقداد .. أنت فخر لنا جميعا

***

رواية «دوامة الأوغاد»..
وإشكالية الأبطال الذين لا يكبرون في السن!

ص ١:٠١ ٤/٠٣/٢٠١٧ جريدة تشرين السورية

بقلم الروائي - محمد الحفري \ سورية

دوامة الأوغاد رواية صادرة حديثاً لمؤلفها الكاتب والقاص محمد فتحي المقداد وتبدو إشكاليتها بداية في العنوان الذي يأتي من باب التعميم وليس التخصيص وهو العتبة الرئيسة والمفتاح التأويلي للدخول لأي نص، لأن الرواية ترسم حياة أناس كثيرين فيهم الصالح والطالح، المسيء والمحسن، الجيد والسيئ وبالتالي هي دوامة للحياة التي تطحن بعجلاتها الجميع من دون استثناء، وهذه الشخصيات الإيجابية والحسنة دخلت مع الشخصيات الشريرة والسلبية تحت هذا التعميم حين أصبح الجميع أوغاداً في دوامة الكاتب المقداد، ولعل الإشكالية الثانية التي وقعت فيها هذه الرواية هي كثرة شخوصها، فمن يقرؤها يحتاج إلى تسجيل هذه الأسماء كي لا ينسى بدءاً من أطفال الحارة ورجالها ونسائها، النمس وأولاده وزوجته الأولى والثانية، رجال السوق، ومصطفى وأبو غليون ومعلمات المدرسة، إضافة إلى شخصيات أخرى مثل عريبي ورامز وعرير بن وردان صرصور قرية أم الخنافس التي تعدّ مسرحاً لأحداث الرواية، وحتى لا يقع الحيف في كلامنا على أحد وعلى صاحب الرواية نقول إن كثرة الشخصيات مشكلة قد لا يقتصر عليها النص المحلي بل تكاد أن تكون سمة من سمات النص العربي على صعيد المسرح والقصة والرواية.

تعالج الرواية تفصيلات الحياة اليومية في قرية أم الخنافس وتغطي فترة زمنية قد تمتد منذ ستينيات القرن الماضي وصولاً إلى ما قبل الأحداث في سورية تقريباً، وبسحرية واقعية جميلة حدَّ الإقناع يسرد الكاتب تفصيلاته الصغيرة التي تتفرع من شجرة روايته الكبيرة ليشكل كل مقطع منها غصناً يتعاضد مع غيره كي يسهم في جمالها ومنظرها البهي ولا غرابة في ذلك فهذا ديدن السوري، مبدعٌ أينما حلَّ وارتحل فهو ينتمي لحضارة عمرها من عمر التاريخ، وإن صدرت هذه الرواية في العاصمة الأردنية عمان أو أي بقعة من العالم فهي سورية كما صاحبها نبضاً وروحاً ودفئاً وهي تخصُّ بقعة من أرضنا الحبيبة التي يحملها الأبناء في أرواحهم قبل قلوبهم.

يعتمد الكاتب في روايته على عرض الشخصية وحياتها أولاً ومن ثم الأحداث التي تمر بها والتي تتنامى بالتدريج، وقد قسم شخصياته إلى خبيثة تضمر الشر لغيرها تتمثل

في «رامز وأبو غليون والنمس» الذي وصفه بالكذب والبخل الشديد والنتانة وفظاظته مع زوجتيه وتعامله مع الناس عن طريق الربا، في المقابل هناك شخصيات طيبة تتصف بالنخوة والشهامة تتمثل برجال الحارة ومنهم سليطين، إرحيم، سويلم، وحميدان وقد نعدُّ «المشورب» الذي يعمل كساحر ضمن تلك الشخصيات ذلك لأنه قد أجبر على هذا العمل بعد أن فصل من وظيفته وللضرورة أحكام وكلامنا هنا لا يعني أبداً التبرير أو الدفاع عن عمله كساحر، وهذه الشخصيات من حيث الطيبة والبساطة قد تتقابل وتتقارب مع الشخصيات النسائية الموجودة في الحارة «أم سعيد، أم منيف، فليحة، صالحة» وقد اعتمد الكاتب على لسان هذه الشخصيات وحوارها في نقل الكثير من الأخبار والأحداث وفي أحيان أخرى كان يستخدم صابر عامل البريد وزوجته نعمات لهذه الغاية أو يستخدم محل التاجر عكاش الذي يجتمع عنده عدداً من رجال أم الخنافس وتدور فيه الكثير من الأحاديث والحوارات، ومع ذلك بقي صوت الروائي واضحاً ومهيمناً على السرد في أغلب المقاطع يتجلى ذلك في العديد من أبيات الشعر وفي الكثير من الأمثال الشعبية التي وضعها كتدعيم لما تقوله شخوص روايته.. من ناحية أخرى فقد أدرج الكاتب في نصه شخصيات تتصف بالحكمة والتعقل الشديد قد نختصرها في الأستاذ فهيم وصديقه فارس ليضبط ميزانه على هذا الشكل من التوازن ثم أضاف شخصيات تجمل نصه من خلال الفعل والاسم الدال على صاحبه «عريبي المجنون العاقل، أم شحدة المرأة القوية الجسورة، عرير بن وردان أو صرصور القرية الذي يصدح بصوته في أغلب الليالي.

"وفي كشف المستور وما يخفيه النمس ورامز وأبو غليون يعتمد النص على عدد من الأطفال الأشقياء على رأسهم ماجد ابن أبو ماجد سعفان الذي يمتلك محلاً تجارياً في السوق ومعه صديقيه محمود وأنيس والذين يقول عنهم الكاتب: «هكذا بدأت الدوامة تلتف بهؤلاء الفتية وهي تفتح وعيهم على أشياء بعيدة عن طفولتهم»، وهؤلاء الأولاد هم من كشفوا منذ البداية كذب النمس حين أدعى أنه قتل ضبع القرية بين الكروم وعلاقة رامز المشبوهة مع المعلمة "شمسة".

يركز الكاتب على شخصية النمس كشخصية محورية تدور في فلكها بقية الشخصيات ومن خلال صفاته الشخصية يقدم إلى ما ستؤول إليه حياته فهو قد طرد زوجته الأولى التي ماتت كمداً وقهراً وحزناً بعد أن غرق ولدها في مستنقع القرية الطيني وقد لحقت بها زوجته الثانية فحالها ومعاناتها مع شخص مثل النمس لا تقل سوءاً عن حال الزوجة الأولى ثم تتردى حالة النمس الصحية ويموت لاحقاً بزوجتيه وولده، يحدث هذا بعد أن انكشف أمره في أشياء كثيرة منها مساعدته لرامز أن يختلي بشمسة في منزله ليمارسا البغاء ليلة بأكملها وكانت النتيجة أن حملت الفتاة نتيجة ذلك وتنصل رامز من فعلته، ومثل هذا الأمر يعدُّ شنيعاً في عالم القرية البسيط حيث لجأ أهلها إلى الجهات المختصة وتمكنوا من نقل رامز والمعلمة شمسة إلى خارج القرية لكن لصوصاً من خارجها تمكنوا بمساعدة أبو غليون من سرقة كنزها الثمين وأبو غليون هذا قد دخلها مستغلاً بساطة أهلها وطيبتهم وقد ادعى أنه شاعر جاء يلتمس الهدوء والجمال الذي سيوحي إليه بكتابة ديوانه الشعري الجديد، وتلك الشخصية قد أعطت النص رمزية يشار لها بكل تقدير واهتمام فالغرباء دائماً لهم غاياتهم وأهدافهم حين يدخلون بلادنا ويجب أن نحرص من غدرهم كل الحرص، من ناحية أخرى نلمس ذكاء الكاتب في اختياره اسم المكان «أم

الخنافس» لنكتشف أنه دلالة على أن في المكان آثاراً وكنوزاً يطمع بها الكثيرون وقد رأى بعض كبار السن في القديم خنافس ذهبية تمشي بالقرب من ذلك الموقع الأثري أو هكذا تخيلوا، وعلى ذلك الخيال القريب من الحكايات والأساطير بنى الكاتب عمارته الشاهقة معتمداً في حجارتها على الواقع الذي نسج منه روايته الجميلة.

"دوامة الأوغاد" لمؤلفها محمد فتحي المقداد رواية تعتمد الشخصية وتفصيلات حياتها الدقيقة وقد برع الكاتب في تقسيمها وتقطيعها الفني وفي استعمال أسلوب التشويق حتى نهايتها المؤلمة وهي جديرةٌ بالاهتمام والمتابعة وليبقى سؤالنا للكاتب: كيف تمر كل تلك السنوات ولا يكبر أطفال روايته؟.

١٤\٣\ ٢٠١٧
دمشق - سورية

***

حوران البيئة المكانية
في رواية دوامة الأوغاد
للروائي السوري محمد فتحي المقداد

بقلم الأديب – سامر المعاني \ الأردن

دوامة الأوغاد صادرة عن دار عمار للنشر والتوزيع عمان الأردن ٢٠١٧ صمم الغلاف الشاعر السوري **محمد طكو** قدّمه الشاعر الروائي المقداد متضمّنًا غلافه، والإهداء نصوص مقتبسة من المنتج المتضمن ٢٣ بابًا و ٢٢٤ صفحة.

الرواية تمثل النمط والواقع المعيشي بأسماء مكانية وأسماء وألقاب مُستعارة تمثل مرحلة ستينيات حتى سبعينيات القرن المنصرم، حيث حوران المكان الذي ولد وعاش فيه الروائي، علمًا أن حوران هي أجزاء واسعة من جنوب سوريا وشمال الأردن، حيث التشابه في كل شيء الممارسات والعادات والألفاظ والنمطية العملية والزراعية والمعيشية مع اتساع الرقعة المكانية والحدود السياسية بين الدولتين.

المقداد في دوامة الأوغاد استنطق المكان والزمان؛ ليكون مؤرّخًا لتلك الحقبة من الزمن بأدقّ تفاصيلها، وأدقّ المؤثرات، وكأنها تحاكي كل حوراني عاش أو نقلت له أحداث هذه المرحلة فهي سرد قصص تَعايَشنَا سردها ونمطيتها.

أدرك الروائي **المقداد** خصوصية الحقبة، وحوران الزراعية البسيطة الغافية على التعب والجهل والحاملة في سنابلها الحب وعرق الفلاحين الذين ينتظرون لقاء السمر المفعم بالحب وقصص السارحة في مدار البطولة الجسدية، والأوهام الضائعة بين الحيوانات المفترسة **(الضبع)**، والمستعارة من حصار الفكر بالأسماء والقصص المتكررة والخرافات **(أبو الهول)** ولعلك أمام قصة واحدة متكاملة، نقلها مع كل ضيف أو كل مكان جديد، وما أقلها تلك الأمكنة الناعسة غافية على قناديلها القديمة، والمفعمة بالبساطة وكثير من البركة في الوقت والمحبة.

***

الأسماء والألقاب المتضمنة في الرواية، وحتى اسم القرية الذي اختاره الكاتب على أنه غير واقعي، ولا توجد قرية على أرض الواقع بهذا الاسم، إلا أنها في رأيي تمثّل كل قرى حوران بكل تفاصيلها السردية، حيث انتشرت الألقاب بين الناس لحدّ الاستغناء عن الاسم الحقيقي كفرد وكعائلة وكمنطقة، حيث تُلغى الأسماء الحقيقية ولا تذكر، إلا في محاضر الدوائر الحكومية، وتصبح الألقاب ملازمة حتى عند من حملها مُستمدّة من سلوك أو مهنة أو صفات خلقية وخُلقية أو تضاريس مع بعض الألقاب العائدة على صاحبها، التي نجمت عن موقف أوٍ لقب يعود لوظيفة، أو منصب جهوي حتى بعد انتهاء عمله، وهذا واضح بامتياز في دوامة الأوغاد (**النمس - العفاريت - المختار البيك - الازعر- أبو غليون**).

***

ومن الإشارات أيضا بأن المقداد أشار إلى أسماء الأدوات والحركات والأشكال وجميع الأسماء المرافقة للمنزل وللزراعة، ووضح ماهيته وعمله بين قوسين مثل (**الزينكو - السنسال - الزغرودة - المشورب - تفووو- وغيرها الكثير**).

المفردة المتلازمة وهي مفردات يكررها شخص بشكل مستمر عند كل حديث؛ فتصبح صبغة خاصة به لها وقعها عند المتلقي كالعذر المتكرر وعند الاستهلالية بالحديث أو في الدهشة، وكانت منتشرة حدّ أن يُستغاب صاحبها بتلك المفردة مهما كان مضمونها.

من يقرأ دوامة الاوغاد يؤكد ما أسلفنا به، إنها رواية تؤرّخ المكان الحوراني ليس فقط بحدث ومكان وأسماء، بل هو يؤرخ لخصوصية المفردة والتراكيب وهو الناقل للصورة المجتمعية، بصورة واقعية بسيطة ومفردة حواريّة متضمنة لسان ولهجة أبطال الرواية، بعيدًا عن التأويل والإيحاء والرمزية فقد استخدم المفردة الدارجة بلسان الراوي، فمنها ما كان عاميًّا مفهومًا ومستخدمًا حتى الآن، أو عاميًّا انقرض مع تقدم الزمن وحياة العولمة، وتغير الصورة المجتمعية لتلك البيئة المكانية، وخاصة في القرى القريبة من المدن في حوران السورية والأردنية، وهذا يمثل الأسلوب السردي المباشر الذي امتازت به المدرسة الكلاسيكية في السرد الروائي.

المثل الشعبي احتل مساحة واسعة في كل أبواب الرواية لدرجة أنك ربما تجد المثل الشعبي يحتل كل صفحة من صفحات الرواية، استخدمها الروائي **المقداد** على لسان أبطال الرواية تمثل الحالة والواقعة، منهم من يستخدمه عند كل أمر ومنهم من يستخدمه من شدة هول الحدث، ومنهم للتشبيه، أو للمقارنة، ومن الأمثال من لها علاقة بالمناخ والتضاريس والبدعة، ومنها من كانت للمواساة وعند المرض والفرح والترح.

***

السلوكيات المجتمعية والتي غلب عليها الجهل كانت حاضرة في الرواية من حيث وجود الأمراض المجتمعية، كالحسد والنميمة ووجود أشخاص يمارسونها بشكل مباشر وغير مباشر، وسرعة انتشار الخبر والإشاعة والحدث بتفاصيل وإسهاب حدّ المبالغة مع كل شخص ووقت، كما السلوكيات التي كانت تمارس بالخفاء، والتي تمثل أمراضًا اجتماعية لا يقيّدها دين ولا خلق، والخوف من العيب والعار وسيطرة الإقطاعيين، وقلة التعليم في مفاصل الحياة النابعة من الجهل المتكئ على الفقر وعدم الاختلاط والاندماج.

المرأة كانت موجودة في دوامة الأوغاد الزوجة والنساء كمجتمع، وعلاقات سيدات القرية ببعضهن البعض ، والتي كانت تمثل رمز الطيبة والبساطة.

فلم تكن الرواية خارجة عن الهمّ العربي العام، وتأثيرات الشأن السياسي والحروب، وهُم من عاشوا فترات احتلال فلسطين وحرب الاستنزاف، ورفع وتيرة وأهمية الحوارات والجلسات العائدة إلى المرحلة وهول وجدية الأحداث حيث الحوار القائم بين الأساتذة عطاالله و فهيم، وازدحام المشاهد الفرعية إلى الوضع العام، وكيفية التعايش مع الأزمات، وموقف الحكومة من التعامل معها ومع الشعب.

***

القرية التي كانت تنام على المحبة رغم كل ما تطرقنا إليه من وصف لتلك الحقبة الزمانية والمكانية، إلا إنها كانت تنسج دروسًا من الوئام والشعور مع الآخر، لم تكن تحلم بأكثر من رزق حلال وبيئة آمنة لهم ولأولادهم؛ لتجد ما أصاب كل القرى في الأمة بانتشار القبضات الأمنية، وانتشار الفتن والرعب من كل شيء، وكانت الدولة تمثل الرعب الذي يحيط بالناس في كل مكان، حتى جدران البيوت بعد انتشار المخبرين و قبضة الدولة القوية، التي كانت تعتمد على الأحكام العرفية، فتشعر الناس بأن وجودها مُرتَهَن بتخويف الناس وترهيبهم بشتى الوسائل في جميع مناحي الحياة.

***

تسلسل الأحداث والنهاية المفتوحة من الخوف وعدم الثقة بعيدًا عن التخصيص والأشخاص، والترابط القصصي والفقرات في نقل مشاهد الرواية سلسة وشيقة، كما عمل تعدد الأحداث وتشابكها من الرواية عذبة التناول زاخرة بالتجديد، والتي ارتهنت لبيئة مغلقة رغم اتّساع بنيتها المشهدية واستقطاب الشخوص المؤثرة في الأحداث، والتي رفعت من تأثير الحبكة والصراعات التي أخذت معظم فصول الرواية، إلا من انعطافات وانتقالات تغيرت مع مرور الوقت، والتأثيرات الخارجية على مفاصل العمل.

دوامة الاوغاد للروائي السوري الحوراني **محمد فتحي المقداد** الإنسان الراقي والمهذب، عالي الهمة والقلب النابض بالحب لجميع الناس تتمثل الرواية المدرسة الكلاسيكية، فيها إعادة للتركيز على اللهجة الحورانية ببساطتها، قبل دخولها واندماجها مع اللهجات الأخرى، حيث ما زالت المفردة محفورة في ذاكرة أهل حوران، ومواليد ما قبل عام ١٩٧٥، حيث بداية انتقال تلك القرى إلى نمط معاشي وتعليمي مختلف، وتغير ديموغرافي أيضا يسطر بروايته حديث الناس والأرض.

٢٠١٧\٣\٨
إربد

***

قراءة في رواية محمد فتحي المقداد "دوّامة الأوغاد"
قدمت في قاعة مكتبة بلدية الرصيفة ــا ٢٠-٣-٢٠١٧
خلال حفل توقيع الرواية برعاية منتدى الرصيفة الثقافي

الناقد - محمد المشايخ\ الأردن

كانت القرية العربية إلى وقت قريب، مصدر الخصب وتجدد الحياة وانطلاقتها، وكانت تمثل كرم العربي وجوده، وتفانيه من أجل التعاون والتكاتف والتكافل مع مجتمعه الصغير، والمشاركة في الأفراح والأتراح باعتبارها تمس الجميع بخيرها وشرها.

غير أن رواية "دوّامة الأوغاد "للروائي محمد فتحي المقداد، ترينا الوجه الآخر للقرية العربية، عندما تجعلها تبوح بما لا نعرفه عن أسرارها وخباياها، وعندما تشكل بقعة ضوء، تكشف عن أدق التفاصيل في العلاقات بين السكان من كل الأعمار ومن الجنسين، مقتحمة باب المسكوت عنه، لتصرّح بعد أن أقحمها الروائي في عالمي السياسة والجنس، وكادت أن تكون رواية بوليسية، أن الخير سينتصر على الشر، وأن الحق سينتصر على الباطل، وأن الظلم إلى زوال.

ورغم ما رصدته الرواية من فساد في القرية، ورغم تصويرها على أنها طاردة حينا أو قاتلة في أحيان أخرى، إلا أن النهاية كانت بتطهيرها بمختلف السبل من الأوغاد الذين حاولوا طحن قاطنيها في دوّامتهم، ولكنها قبل ذلك خسرت الكثير من سكانها، ومن كنوزها أيضا.

تتألف الرواية من ٢٣فصلا، تتداخل فيها الأحدث وتتقاطع، وتمتزج فيها الأجناس الأدبية والفنية، فنجد فيها على سبيل المثال، قصة داخل قصة، ونجد الطرفة والقصيدة والأغنية والحوار المسرحي والمثل والحكمة، والتقرير والرسالة والخطبة واللوحة التشكيلية والخارطة السياحية بالإضافة إلى الحُجُب ومعطيات التراث الشعبي "الفولكلور"، كل ذلك دون أن يؤثر على مسار السرد لدى توزيعه لخيوط الرواية وأحداثها وشخصياتها، فتمضي إلى غايتها، موضحة التزام الروائي بهموم أمته الوطنية والاجتماعية، عدا عن مواقفه القومية والإنسانية.

ويمكن اعتبار هذه الرواية، من أكثر الروايات العربية تماسا مع أرق الجماهير، ورغم أن فيها من الأخبار ما يؤكد أن أحداثها زمنيا وقعت قبل عام١٩٦٧، إلا أن أسلوب "وجهات نظر الشخصيات" الذي استخدمه الروائي، في روايته السيكولوجية، جعلنا على

الصعيد المكاني نتعرّف إلى البيئة الخارجية للقرية وعلاقتها بالمدينة حينا، وإلى شخصيات الرواية في بـُعديها الداخلي والخارجي، عبر الحوار الذي كان يُحدثه بينها، يُضاف إلى ذلك، تلك المشاهد السينمائية التي كانت تشعر قارئ الرواية أنه يشاهد عرضا سينمائيا أكثر مما يقرأ رواية أدبية، وتلك اللوحات البصرية التي رسمها لعدد كبير من الأمكنة داخل القرية وخارجها، والتي تشي بنجاح خياله المحلق، في تجاوز الرواية الواقعية، لإنجاز رواية فيها من الإيحاءات والدلالات الجنسية والسياسية الناقدة والجريئة، الساخرة والتحريضية، أكثر من تلك التي قدّمها مسلسل باب الحارة.
يقولون البيوت أسرار، أما الروائي محمد فتحي المقداد، فقد فضح هذه الأسرار، وأي سر أكثر من انكشاف أمر من يفتح بيته للدعارة لدى زيارة زوجته لأهلها، أو يقدم ابنه لقمة سائغة للآخر كي يلوط به، بل يُكبر القارئ فيه بثه هموم النساء المضطهدات من أزواجهن، حتى قالت إحداهن في الرواية "بللت خبزي بدموعي".

ويمكن القول إن الرواية في صفحاتها الـ٢٢٤والتي تعادل ألف صفحة فيما لو تم تكبير بنط الخط، كانت في مجملها اعترافات وشكاوى وردود فعل وبوح شخصياتها، الظالمة منها والمظلومة، وقد اتسع ذلك وامتد حتى جعل من الرواية عدة روايات متقاطعة متداخلة، كل منها تتعلق بحدث أو بشخص ساهمت سيرته ومسيرته في نموّ وتطوّر الأحداث الدرامية من زواياها المختلفة، تخلل ذلك إيراد الروائي لبيت شعر للجواهري يوضح فيه الحث على البوح، وقد قال فيه:
أزح عن صدرك الزبدا ودعه يبث ما وجدا

وكان الروائي في أثناء سرده الذي كان يتواصل أو يتوقف حسبما يشاء، حريصا على تشويق قارئه وجذبه لمطالعة المزيد من صفحات الرواية، ومن أجل ذلك، كان يستحدث مقولات أو يؤلفها أو ينتقي من بيئة القرية ما يعبر عن المعنى الذي يريده وفي الوقت نفسه يجعل القارئ يشعر بالسعادة ومن ذلك قوله:(**إكثير النط قليل الصيد**)،(**معرفة الرجال غنيمة، ومعرفة الأنذال شتيمة**).

وثمة تركيز على الشخصيات التنويرية المتعلمة والمثقفة في القرية، وإن كان فيما رواه الروائي عن المعلمة "شمسة" ما يكشف عن وجه سلبي للتربية والتعليم، فإن في أقوال المربين وتصريحاتهم في أثناء الرواية ما يرفع من شأنهم، ومن شأن طلبتهم باعتبارهم جيل المستقبل.

بلغت القسوة مداها في هذه الرواية، حين لخـّص الروائي أحداثها عبر قوله: (**دوامة الأوغاد، تطحن كل شيء تلاقيه لا يقف في وجهها أي شيء، تدوس وتمشي، لا تسأل عن المدعوس فيما دُعس، ولا المجروح فيما جرح، ولا المنتحر فيما انتحر..**).

وثمة قسوة معنوية أخرى كان الروائي قد أشار لها، عندما تحدث عن (**أفخاخ "النمس" العملاقة، الكبيرة لدرجة مخيفة، عندما يفتحها لينصبها تتشكل دائرة**

بقطر ٥٠سم، ذات نوابض فولاذية، حوافها مسننة، ما إن تنطلق على شيء، لن تتركه يفلت من قبضتها إلا وهو جثة هامدة، كما أنها ترتبط بسلسلة حديدية(زرد)في رأسها وتد ينغرس في باطن الأرض ، ولزيادة التأكيد يضع فوق الوتد صخرة ثقيلة حتى يضمن بقاء فريسته في الفخ، لأتى بنفسه، ويخرجها جثة هامدة بيديه).

هذا الوضوح، لا يعني أن الروائي سقط في فخ المباشرة، بدليل أنه لم يكن يقف من الأحداث عند السطح، بل كان يغوص بجرأة - ودون أي حساب للرقيب الداخلي أو الخارجي- إلى أعماقها ليكشف لقرائه السر الكامن وراءها.

ثمة مشكلات كثيرة، وبشر كثيرون، وحوادث كثيرة، وتجارب أكثر، كان الروائي يدمجها ويُفصّلها وفق عالمه الإبداعي الخاص ويوردها لنا بشكل مقنع مُبرر.

معظم ما في الرواية على الصعيد الاجتماعي ممكن الوقوع، ومألوف، ومتداول في كثير من القرى، ولكن الروائي في بعض الأحيان، كان يتجاوز المعقول والمحتمل فيما يجري وراء الكواليس، ومن هناك يرسم عوالم مخيفة، ومرعبة، إنها عوالم لا تدخل في إطار القدر، بل تتجاوزه إلى عالم الغيبيات المملوك لدى بعض البشر، وهنا تتبدى عظمة موهبة الروائي، الذي امتلك كل هذه القدرة على السرد، سرد كثير وفيه من الإطناب والإسهاب ما يحتاج إلى عشرات الشخصيات للإحاطة به، لكنه بعظمة موهبته امتلكه وقدمه لنا جاهزا، معتقدا أن ذلك كله يأتي في إطار المعرفة التي يسعى إليها كل من يجهلها، وبالنسبة له هي الرسالة الأدبية، والحمولة الفكرية، التي يريد أن يوصلها إلى قرائه .

ولكن كيف كتب الروائي عن أحداث لم يعشها، أحداث وقعت في إطار المجهول، ومن المستحيل أن تنفتح السماء لكاتب كي يرى أسرارها، إنها عبقريته التي أوحت له بكل ما سرد علينا، وهنا نتذكر مقولة: **(أنه ليس بالضرورة أن نحترق بالنار كي نعبّر عن مشاعر من يحترق بها، فالخيال والإبداع قادران على تخيّل ذلك)**.

تكتسب هذه الرواية قيمتها من موضوعها الخاص بالقرية العربية حين تستيقظ على سلسلة من الأخطار الداخلية والخارجية، وأيضًا من العناصر الفنية التي زادتها جمالا، وأحالت كلماتها إلى شُعَبٍ مرجانية تتألق في بحرها، وإلى ألعاب نارية تملأ فضاءاتها بألوانها، وسرعة حركتها، وما شكلته من مشاهد ولوحات أدبية، عبّرت بصدق وجمال، عن وقع الوجود على وجدان الروائي.

عمّان - الأردن
٢٠١٧\ ٣ \ ٢٠

***

الخاتمة

جاءت رواية دوامة الأوغاد للأديب محمد فتحي المقداد مثالا حيّا على الأدب الواقعي بكل تفاصيله وخصائصه وليس أدلّ على ذلك من كثرة الدراسات النقدية التي تعرضت لها بالتشريح والتمحيص والتفتيت.

فجاءت الرواية كما أراد لها صاحبها صورة أمينة صادقة للمجتمع السّوري وصراعاته الداخلية في قرية أم الخنافس نموذجا مصغرا للمجتمع الأكبر سوريا حيث كانت أحداثها واقعية من أرض الواقع ومن صميم واقع الشام بكل ما فيه من قهر وعبودية واستعباد وفساد وسقوط النظام بكلّ مقوماته وعنفوانه ، فسقطت تبعا لسقوط النظام الشخوصُ بكلّ أنساقها وتياراتها وكان السقوط الأعظم للأنساق الثقافية التي لم تستطع أن تقدم شيئا يذكر لإعادة بناء المجتمع والإنسان والنهوض به من جديد

فكانت المأساة عظيمة والمصيبة أعظم والربيع لم يكن خريفا وإنما حريقا وقهرا وذلا لا يطاق البتة.

وقد ترك لنا كاتبنا النهاية مفتوحة والباب مفتوحا على كلّ الاحتمالات، بموارية تزيد من مساحة مشاركة القارئ وكأنه يضيف شيئًا للأحداث وسيرها من خلال تأويلاته التي تحتمل أن تشارك الرواية وكأنها من صنع الراوي.

ونستطيع في نهاية هذا البحث أن نقول: لقد جاءت الرّواية وصفا دقيقا موضوعيا واقعيا لما كان في سوريا قبل الربيع العربي وتنبّؤا بما ستؤول إليه الأحداث نتيجة ذلك الظلم والقهر والاستبداد.

وقد وجدنا أن الدراسات النقدية السالفة الذكر جميعها قد أغفلت القضية الفلسطينية التي كانت حاضرة بشخصية (المشورب) حيث كان يحاكي ملامح القضية الفلسطينية المهجرة في الشّتات

بالإضافة إلى إغفال جميع الدراسات السابقة قضية الاتكاء على المثل الشعبي فقد ظهرت الأمثال الشعبية بكثرة في الرواية بشكل لافت للنظر لا يمكن تجاوزه وقد يحتاج إلى دراسة مفصلة كظاهرة أدبية جديدة تكاد تكون غير مسبوقة بهذا الشكلّ في الرواية. كما وأن الرواية جاءت بشكلها العام وتقنيات سردها على شكل مشاهد حوارية متعددة وكثيرة أقرب إلى روح السيناريو وحوارات المسرح .

الطالب: طالب عبد المهدي الفراية

المراجع:

- ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، بدون تاريخ، تحقيق حجر عاصي.
- الأسواني، علاء، رواية عمارة يعقوبيان،
- الجاويش، محمد إسماعيل، عجائب الخلق في عالم الحشرات،٢٠٠٦م،ط١.
- الطاهات، محمد عبدالله، رواية الفلوتي، ٢٠١٥م، إربد دار الكتاب الثقافي.
- الأعرج، واسيني، رواية البيت الأندلسي،
- الأزرعي، موسى، رواية ذيب الصالح، ١٩٩٨م، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الماغوط، محمد، كتاب سأخون وطني، ط٢٠١٢،٧م، دقق: دار المدى للثقافة والنشر.
- المقداد، محمد فتحي، رواية دوامة الأوغاد،٢٠١٦م، عمان: دار عمار للنشر والتوزيع.
- المقداد، محمد فتحي، شاهد على العتمة، ٢٠١٥م، بغداد: مكتب رياض للطباعة.
- المقداد، محمد فتحي، مخطوط كتاب بعنوان: مقالات ملفقة، غير منشور.
- جبرا إبراهيم جبرا، رواية السفينة، ٢٠٠٨م، ط٥، بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع.
- سعيد، إدوارد، المثقف والسلطة، ترجمة وتقديم محمد عناني،٢٠٠٦م، رؤية للنشر التوزيع.
- عبيدات، محمد نائل، تغريبة قرية، ٢٠١٠م، عمان: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.
- كنفاني، غسان، رواية رجال في الشمس، ١٩٦٣م، بيروت: أسامة مولا.
- محفوظ، نجيب، رواية زقاق المدق، ١٩٤٧م، القاهرة: دار مصر للطباعة.

تم بحمد الله

الفهـــــرس

رقم الصفحة	الموضـــــــوع
٢	المقدمة
٤	رواية دوامة الأوغاد نموذجا
١٣	دراسات نقدية عن الرواية
١٤	المجتمعات المصغرة \ عبدالرحيم جداية
٢٤	إسقاطات نقدية \ د- ريمة الخاني
٣١	إطلالة على دوامة الأوغاد \ خليل النابلسي
٣٣	شخوص يحركون \ توفيق أحمد جاد
٣٦	من نافذتي أطل على دوامة الأوغاد \ هيفاء عمر
٣٧	إشكالية الأبطال الذين لا يكبرون \ محمد الحفري
٤٠	حوران البيئة المكانية \ سامر المعاني
٤٤	قراءة في دوامة الأوغاد \ محمد المشايخ
٤٧	الخاتمة
٤٨	المراجع

تم بحمد الله وتوفيقه